

عالمية



روایات

الناضلون

THE
SILENT
ARMY

٥٠
ملياً

فصل

إهداء 2006
الدكتورة / امانى عبد الرازق خاطر
الإسكندرية

روایات
عالمیہ

العدد رقم ۳۴۴

المناضلون

تأليف: شن کی اون
ترجمة: لواء لبیب میخانیل

الفصل الأول

كان العم « ليو » يصيح ، وهو يلقي تعليماته ، حائا الجميع على الإسراع فى جمع حاجياتهم الضرورية والثمينة فقط ، فى أقل عدد من الحقائق الخفيفة . مؤكدا اننا لا يمكن ان نأخذ كل ما فى المنزل معنا . . حتى الطعام . . فلن نغيب سوى أيام قلائل . . وسوف نجد كل ما نحتاج اليه من الطعام فى مخازن منجم « كوان لو » . وكانت العمه « هوو » ، وفتياتها ، يسرعن وهن يصعدن درجات السلم الى حجراتهن ليجمعن مجوهراتهن . . وما يملكن من أشياء أخرى . . عزيزة . . أو ثمينة .

وبعد لحظات عادت العمه « هوو » مهرولة تصيح ، وهى تدعونى اليها ، ثم وهى تنادى خادوماتها ، وما هى الا دقائق حتى كنا جميعا حولها . . نحاول مساعدتها ، وتنفيذ تعليماتها المتلاحقه ، فنملا حقائبها الجلدية . . ثم نفرغها . . ثم نعيد ملأها ثانية . . نفتح هذا الصندوق . . ثم ذاك . . نبش هنا وهناك . . ونجمع طلباتها . . وكانت تركز البحث بصفة خاصة عن كل ما هو من نسيج الصوف . فالعمه « هوو » لا تستطيع مقاومة البرد . . وتعتقد اننا جميعا مثلها .

وفى هذا الجو المثير . . الذى كان يحيط بالعمه « هوو » . . لم نستطع ابدا . . ان نلتقط المفتاح الصحيح . . لاي قفل .

وبسرعة أيضا توجه العم « ليو » نحو خزانته .. ثم نحو مكتبه .
ليجمع أمواله ووثائقه وأوراقه الخاصة ، وبعد أن وضعها في
حقيبة جلدية كان يحملها .. قال :

- كان من الواجب أن اسحب المزيد من المال .. في زيارتي
الآخيرة .. للمصرف .

وقبل أن يتم حديثه هذا .. دوى انفجار مروع هز أركان
المدينة .. وكان في هذا الدوى ما أغنى العم ليو عن إعادة حث
أسرته على الإسراع في مفادرة المنزل .

وركبنا جميعا إحدى عربات اللوري المكشوفة ، التي كان العم
ليو يقودها بنفسه ، فسارت بنا عبر طرق مليئة بأنقاض المساكن
التي دمرتها قنابل المطائرات ، وكان بعض سكانها مازالوا يسعون
هنا .. وهناك .. يحمل بعضهم ما استطاع استخلاصه من منزله
الذي دمر .. أو متجره الذي نهب .. ويبحث الآخرون وسط
الأنقاض .. عليهم يعثرون على شيء !! كانت الجثث متناثرة في كل
مكان .. وكان أنين الجرحى يتعالى .. ولكنه لا يصل إلى أسماع
الذين يواجهون هذه التجربة الأليمة للمرة الأولى .. حين تلهيهم
النكبة عن نجدة من حولهم .. فيدفعهم الرعب .. إلى الفرار بعيدا
ناجين بأنفسهم دون تفكير في غيرهم ..

وكان الجميع يتدافعون في طريق واحد غير ممهد .. يتجه
نحو الجنوب ، وكان الزحام شديدا والحركة شبه متوقفة لضيق
الطريق وسوء حالته . وحين وصلنا إلى منجم « كوان لو » بعد
رحلة شاقة طويلة - كانت السماء ملبدة بالغيوم ، والرياح تعصف
بما حولنا ، وحين نزلنا من العربة ، التف حولنا عمال المنجم -
مرحبين ، وبعد لحظات وصل « كوان لو » وزوجته وأولاده ،
والابتسامة المشرقة تعلو وجوههم ، وحين دعانا كوان لو للدخول
إلى منزله قال :



— مرحبا بكم فى منزلنا المتواضع هذا .. لقد اخطينا لكم احدى الحجرات .. والموقف — كما ترون — يتطلب رفع الكلفة بيننا ، وارجو المذرة اذ لم نستطع ان نوفر لكم سوى هذه الحجرة .. واسأل الله ان تزول هذه الفمة سريعا .. وأن تعودوا الى دياركم سالمين .

فأجابه العم ليو قائلا :

— اننا نقدر حفاوتكم بنا .. ونأسف لازعاجكم فى هذا الوقت العصيب .

كما اضافت العمه هوو قائلة :

— فى مثل هذه الظروف يجب ان تقدم لكم — نحن بعد الله — شكرنا وتقديرنا لمعاونتكم .. وتوفركم لنا مثل هذه الحجرة .. وكما اوضحتم .. يتحتم ان نرفع الكلفة بيننا .. ولا محل اذن لهذا الاعتذار ..

وبعد أن تناولنا وجبة العشاء التي أعدتها لنا زوجة كوان لو ،
جلسنا نتبادل الحديث مع بعض موظفي المنجم وعماله .. وكانوا
خليطاً من جنسيات مختلفة من دول شرق آسيا هاجروا الى
الملايو .. وعاشوا فيها . وعلى الرغم مما كنا نشعر به من اجهاد
وتعب - بعد هذه الرحلة الشاقة - فقد كانت حاجتنا الى الرقاد
تذوب وسط الحديث عن الحرب التي تدور حولنا ، والكوارث التي
نزلت بنا ، والسرعة الكبيرة التي تتلاحق بها الحوادث امامنا . كان
من الصعب علينا ان نميز الحقيقة فيما نسمعه من انباء متلاحقة ،
واشاعات متضاربة . واستغرقنا الحديث .. فلم نشعر بمضى
الوقت حتى نبهتنا الساعة الى أننا قد جاوزنا منتصف الليل ..

وكان طبيعياً ان يتعذر علينا الرقاد ، ونحن نقاسى من افكارنا
السوداء حين نستعرض الحوادث التي مرت بنا فى أيامنا القليلة
الماضية ، ونعانى الرقاد على الأرض بلا فراش أو وسائد تريحنا ،
لكم تمنينا لو توفر لنا فى هذه الليلة ما يقينا لذعات البعوض
المتوالية .



كنت فى سنغافورة .. حتى قبل اسبوع ، حين وصلتني
برقية العم ليو .. تنبئني باحتضار والدتي ، وكانت افكارى موزعة
بين واجبي نحو والدتي التي تحتضر هناك .. وبين زوجتي
« لى لان » .. التي كانت امامى طريحة الفراش بعد مولد طفلنا
الاول .

وفى الوقت الذى كان اليابانيون يهددون فيه حدود سيام
الشمالية . وعلى الرغم من كل ما توقعته من اخطار . فقد قررت
السفر شمالاً الى « ايبواه » - حيث تقيم والدتي - ووصلتها فى
وقت سمح لى بوداعها الوداع الاخير ..

وتوالت بعد ذلك الحوادث بسرعة ، وتعدّرت عودتى الى
صنفا فورة ، وكانت حالة « لى لان » - عندما تركتها - موضع قلقى
وتفكيرى .. هل سيهتم بها الدكتور « زيا » .. كما وعد ؟ كيف
حالتها الآن ؟ .. وكيف حال الطفل ؟ .. كم كانت رقيقة مطوفة
وهى تشجعنى على السفر .. لاداء واجبى الاخير نحو والدتى !!
ثم وهى تقول :

- عد لنا سريعا .. قدر ما تستطيع .

ترى هل سأتمكن من العودة الى زوجتى .. وطفلى ؟ .. وهل
سأراهما مرة ثانية .. ومتى .. ؟

الفصل الثانى

و حين استيقظت فى صباح اليوم التالى .. كنت أعانى آثان
أرقى طول الليلة الماضية .

وفى حوالى الساعة العاشرة صباحا ، مرقت فى سماء المنجم
سنت طائرات يابانية كانت متجهة نحو كامبار ، فتجمعنا فتابعها
بأنظارنا .. وكان عددا يتجاوز المائة والعشرين بين رجال وسيدات
وأطفال . وحين ابتعدت الطائرات عنا تماما .. بدأ القوم يتدارسون
الموقف .. وكان من رأى كوان لو أن ايبواه لابد أن تكون قد تلقت
أضربة قاصمة ، وكان من رأى شوشوان أن هذه الطائرات لابد من
أن تكون قد دمرت كامبار أو تاباه لتفتح الطريق أمام القسوات
الغازية .. فعلق آخر بقوله :

- اذن لابد من أن تكون قوات الحلفاء قد وصلت الى تاباه ..
وعلى ذلك فعلىنا أن نتوقع أن يدور القتال حولنا .. قريبا .

وهنا صاح العم ليو قائلاً :

ليس المهم أن نبحث وجهة هذه الطائرات وأهدافها الآن ..
ولكن الأهم أن نتدارك موقفنا هذا . فلا شك أن في وقوف أكثر
من مائة شخص .. مثلما فعلنا الآن - ما قد يجعلنا هدفا مغريا
لاحدى هذه الطائرات . ولذا يجب أن نحناط للأمر .. وأن نبدأ
فوراً في حفر خنادق تتسع لعددنا ..

فلم يتردد القوم لحظة واحدة .. وبدءوا العمل .. وقبل
الغروب كنا أنجزنا حفر ثمانية مخابىء متفرقة .. بعيدة عن المباني
نخصص كل واحد منها لعدد من الأفراد يلجأون اليه وقت الحاجة .

وقبل الغروب بقليل .. قدم الينا احد عمال المنجم القريب منا
والذى لا يبعد عنا بأكثر من أميال قليلة ، يبحث عن شقيقه الذى
يعمل فى منجم كوان لو .. ومنه علمنا أن أكثر من أربعين رجلاً
مسلحاً ، هاجمهم ظهر اليوم .. وسلبوهم كل ما يملكون ..
حتى آلات المنجم .. لم تسلم من النهب والتدمير . وفى الحال
أصدر كوان لو تعليماته باغاثة هؤلاء العمال .

وبهذا برز أمامنا خطر جديد .. تحتم علينا أن نتدارسه ..
وأن نستعد لمواجهة .. فى الوقت الذى كنا نفتقر فيه الى السلاح
وفى حدود قدرتنا .. اتخذنا أهبتنا لتوفير الحراسة القوية ،
والإنذار السريع ، والاحتياطى المناسب من الرجال الأشداء المسلحين
بقطع الحديد والعصى الفليضة ليدافعوا فى الاتجاه المهدد الذى يبرق
منه الخطر .. ولم يغب عن بالنا أن نبعد النساء والأطفال عن
مكمن الخطر المتوقع ، فحددنا لهن مكانهن فى احد الملاجئ ..
تحت حراسة قوية ..

وهكذا مضى الليل .. فى ترقب .. وانتظار . وقلق ..

الفصل الثالث

وفى اشراقة الصباح الجميل .. وبدلاً من أن نسمع أصوات الطيور المفردة ، وصل الى أسماعنا صوت اشارة الانذار بفارة جوية .. كنا قد أعددناها ضمن خططنا للدفاع عن أنفسنا وعن المنجم ، وكانت عبارة عن دقات أربع على اناء للبتروول ، تتبعها وقفة قصيرة ثم يتكرر الدق أربع دقات أخرى .. وهكذا .

وما أن وصلنا جميعاً الى المخابىء حتى شاهدنا طائرة تحوم حول المنجم حتى تبينته تماماً ، ثم أخذت تدور حوله دورات متتابعة وهى تسقط ما يشبه الريش .. الى حيث تحمله الرياح . وصاح كوان لو يندرننا بعدم ترك ملاجئنا لمحاولة جمع هذا الشيء الذى يسقط .. وأن نبقى جميعاً مختبئين الى أن تبتعد الطائرة عنا ..

وبعد حين - ذهب بعض العمال ليلتقطوا ما سقط ، فاذا هو قصاصات من الورق متعددة الألوان ، فى حجم واحد ، مكتوب عليها باللغة الانجليزية ما يلى :

« ان الجيش الامبراطورى الباسل ، وقد قدم لتحرير ارض الملايو بدافع من المبدأ الذى ينادى به ، وهو .. آسيا للأسويين يدعو اهل الملايو - ويحذرهم من التردد - الى تقديم كل عون يطلبه جنودنا الشجعان .. من طعام . وشراب .. ومعلومات .

وان عقوبة اىذاء جنودنا ، او اخفاء ومعاونة جنود العدو الجبناء الذين يهربون كالجرذان .. هى الموت .. فتعاونوا معنا باخلاص .. »

(بأمر القائد الأعلى لقوات الجيش الامبراطورى)

وكان تأثير هذا الانذار بادياً على وجوه الجميع فى شكل ابتسامة تهكمية ..

وبعد حوالى الساعتين .. قام ونج تى .. أحد عمال المنجم -
يعرض شيق لاسلوب اهل الصين فى الدفاع عن النفس ، موضحا
اسلوب الهجوم والدفاع باستخدام الرمح أولا ، ثم قضيب الحديد
ثم الخنجر .. وغير ذلك من الوسائل البدائية التى توارثها الأبناء
من الآباء خلال قرون طويلة ، فأجادوها .. وبرعوا فيها . وبعد أن
أقرغ من هذا العرض .. دعانا لنمارس معه تمرينا عمليا لكل أو
بعض هذه الوسائل .. وبعد أن استرحنا قليلا .. بدأ تدريب
جميع الذكور منا تحت اشراف ونج تى ، وانتشرنا فى حلقات ..
نهاجم وندافع .. نكر ونفر .. نقفز ونجرب .. الى أن توقفنا جميعا
فجأة حين سمعنا أحد الحراس يصيح مندرا بقدوم بعض الجنود
فى اتجاه المنجم .. ثم تبين لنا انهم جماعة من الانجليز والهنود
ضلوا طريقهم وهم ينسحبون فى اتجاه نهر سليم ، بعد أن هاجمتهم
طائرات العدو ودمرت عرباتهم وشتت شملهم ، فلم يبق من السرية
سواهم . فأكرم كوان لو وفادتهم ووفر لهم مطالبهم ، وحين تبين
له أنه من المحتمل عليهم الوصول الى النهر قبل منتصف الليل عرض
عليهم أن يستقلوا احدى عرباته ، فرحبوا بالفكرة أيما ترحيب ..
فانتهزت هذا العرض الحاتمي وطلبت من قائدهم أن يمنحنا أحد
الدافع الرشاشة القصيرة التى يحملونها ، بعد أن أوضحت له
حادث السطو المسلح الذى وقع على المنجم المجاوز ، واننا لا نملك
اى سلاح نواجه به مثل هؤلاء اللصوص وندافع به عن النساء
والأطفال ، فأجاب رغبتي بأن منحنا رشاشين بدلا من رشاش
واحد ومعهما الذخيرة اللازمة .

وأثار وجود قطعتى السلاح بين أيدينا الكثير من الجدل والنقاش
خاصة بعد أن تأكد لدينا أن القوات اليابانية قد استولت على إيواه
وأنها تطارد قوات الحلفاء المنسحبة . وكان العم ليو يرى أننا يجب
أن نتوقع وصول قوات العدو الى المنجم خلال أيام قليلة ، وأنه من
الخطأ ألا نستعد من الآن .. لهذا المازق المنتظر .. ولذا وجب علينا
أن نخطط ما ستفعله .. وأن نقرر ما سنقوله ..

ولا جدال فى أن هذه القسوة أشد خطرا .. وقسوة .. من
عصابات اللصوص المثلثة . ثم دعانا لنُدلى بما لدينا من آراء ..
وافكار ..

فعلق أحد العمال على حديث العم ليو قائلا :

— لا شك فى أن هؤلاء الشياطين الاقزام .. هم أعدى أعدائنا
ولاشك فى أنهم سيطاردون القوات المنسحبة ككلاب الصيد التى
تسعى وراء فريستها .. فقط .. اعتقد أنهم سيأتون إلينا هنا فى
جماعات صغيرة ، ولدينا الآن هذان الرشاشان .. ولا بد أن نحسن
استعمالهما ..

فأثار هذا الراى الكثير من الجدل ، وعلق عليه ونجته قائلا :

— أنا ضد الراى القائل باستخدام السلاح ، وأرى أن فى هذا
العمل القضاء المبرم علينا جميعا . قد يكون فى مقدورنا القضاء
على أول جماعة تصل إلينا منهم ، ولكن .. ما سيكون شأننا مع
باقى الجماعات ؟ وأنتم تعلمون أن دوى الطلقات فى هذه المنطقة
الهادئة .. ينتشر صدها بسرعة .. ولاشك فى أنه سيصل إلى
أذان أعدائنا .. وأنهم سيبحثون عن مصدره . وأكثر من هذا ..
هل تعتقدون يا أخوانى أن فى مقدورنا أن نقاتل الجيش اليابانى
وكل ما نملكه هذان الرشاشان وبضع مئات من طلقات الرصاص .

وصاح لانتاه مؤيدا هذا الراى قائلا :

— لاشك فى أننا لا نملك المقومات الضرورية لمواجهة قوة أعدائنا
وهذا لا يعنى أن نفقد قدرتنا على التفكير والتصرف .. فهذا واجبنا
الآن للدفاع عن نساءنا وأطفالنا .. على الأقل .

وكان من راى ين لين — بعد أن أوضح ما وصل إلى علمه من
قسوة جنود العدو ووحشيتهم — أنه من الواجب العمل على إخفاء
النساء والأطفال . وأثار دهشتنا .. تدخل العمه هور فى الحديث
قائلة :

— اننا لسنا فى موقف يسمح لنا بمثل هذه الآراء الهزيلة ..
اننى امرأة .. وام لفتاتين تتفتحان كالزهور .. وأعلم جيدا ماذا
يفعل هؤلاء الوحوش مع نساء أعدائهم .. وأقدر مسئوليتى كام
نحو بناتى .. وبالتالي أشعر بما سيحل بكم جميعا وأنتم ترون
فساءكم يعتدى عليهن .. انه لموقف كريبه هذا الذى سنواجهه . هل
يستطيع السيد ين لين أن يخبرنا أين هو المكان الأمين الذى
سنختبئ فيه .. اذا كان من المحتم علينا أن نهجر مرة ثانية ..
فمن الواجب اذن .. أن نتخذ قرارنا بسرعة .. قبل فوات
الوقت ..

فأبجيت الانظار نحو العم ليو .. تطلب رأيه .. ولكنه اطرقا
قليلا — كمن يفكر — قبل أن يقول :

— تقترح زوجتى أن تغادر هذا المكان .. ولكن من الذى
يستطيع أن يحدد لنا مكانا أكثر أمنا وسلامة من مكننا هذا ؟ ..
فالعُدو الآن فى كل مكان .. فى المدن والقرى .. فى الغابات
والأحراش .. فلا مكان اذن يمكن أن يقال انه صالح لهجرتنا ؟
وليس أمامنا فى الوقت الحاضر سوى البقاء هنا .. حتى نرغم
على قتالهم .. وبعد ذلك علينا أن نتحمل مخاطرة الهروب الى أى
مكان توفره لنا الظروف وقتئذ .

فختم كوان لو الحديث مؤكدا رأى العم ليو .. ثم قال :

— لا شك فى أن ما خططناه بالأمس .. قد لا ينجح اليوم ..
وما نخططه اليوم قد لا ينجح غدا ، فالحوادث تجرى بسرعة متلاحقة
ولكل وقت ظروفه وملابساته .. وعلينا أن نستخدم عقولنا بغير
تهور ، أو اندفاع ، ليس من السهل أن نخفى نساءنا وأطفالنا بصفة
دائمة ، ولكن من الصواب أن نحدد وسيلة لاندازهن عند اقتراب
هؤلاء الجنود . كما يجب أن نخفى سلاحنا وذخيرتنا . واذا سئلنا
عن الجنود الانجليز . إجبنا بأن لا علم لنا بأمرهم ، وليس لنا بعد

ذلك يا اخوانى .. سوى أن نتجه الى الله العلى القدير نسأله أن
لا يطيل بقاءهم بيننا .

ثم دار نقاش طويل لم ينته الا قرب الغروب بالوصول الى قران
بشأن اخفاء السلاح والذخيرة ، ووسيلة انذار النساء والاطفال
واخفائهن ، وسلوكنا ازاء الجنود اليابانيين ، واسلوبنا فى التعامل
مع العصابات التى قد تسطو علينا .

الفصل الرابع

وقع اختيارنا على مدخنة الموقد الكبير بمنزل كوان لو كمكان
صالح لاختفاء سلاحنا وذخيرتنا وما نملك من مال ومصوغات ثمينة .
وأعددنا غطاء من الزنك وضعناه على فتحتها وثبتناه ببعض الأحجار
ثم أجرينا بعض التجارب للتأكد من سرعتنا فى اخفاء السلاح
والذخيرة فى هذا المكان المختار عند صدور اشارة الانذار باقتراب
أى من جنود الاعداء .

واستمر نشاط الطائرات اليابانية حولنا ، وازداد بصورة
أكدت لنا سيطرتهم الكاملة على الموقف ، وبدأت للمرة الأولى
أشعر بالخوف وأنا أفكر فى زوجتى وطفلى . والمصير المجهول
الذى أواجهه الآن . وكنا نسمع دوى طلقات الرشاشات قريبة
منا ، وأصوات انفجار دانات المدفعية على بعد أميال قليلة منا ، وفى
نفس الوقت كنا نسمع دقات متوالية على أوان فارغة .. تصل
الينا مؤكدة أن القوم حولنا قد سلخوا سلوكنا . وأعدوا - مثلنا -
هدتهم للانذار السريع حين يشعرون بالخطر يقترب منهم .

وكانت تصلنا الأنباء دائما عن سلوك الجنود اليابانيين وسوء
معاملتهم للأهالى العزل . وفجأة برز أمامنا خطر جديد ، وحلت
بنا أزمة غير متوقعة ، فقد سقط طفلا كوان لو صريعى المرض

وأصابتهما حمى مضحوبة برعشة قاسية ، وكان من الواضح أنهما قد أصيبا بالمalaria . لم تكن نملك من وسائل علاجهما شيئا ، فاتجه تفكيرنا الى ارسال رسول الى المناجم والمزارع القريبة منا للبحث عن أقراص الكينين . ولكنه عاد ومعه ثلاثون قرصا من الأسبرين . نفذت في يومين . وكان تأثيرها في مرض الطفلين محدودا .

وكان من العمال من يرى في بعض الأعشاب علاجا ناجعا للمalaria فجمع بعضها وغلاه في اناء قدمه لوالدة الطفلين وهو يرجوها أن تثق فيه وفي هذا الدواء ، وما كان لملها إلا أن تثق . وأن ترجو . وهي تشاهد طفلها يتألمان بلا امل في علاج آخر قريب . فقبلت أن تعطى طفلها هذا الدواء . وهي ترجو أن يكون فيه شفاؤهما . ولم تمض ساعات قليلة بعد تناولهما هذا المشروب . حتى ساءت حالتها ، وازدادت رعشتها وارتفعت حرارتها . وأصيبت الأم بصدمة أذهلتها ، فأخذت تصيح وتنادى لوباك ، تدعوه أن يحضر ليشاهد تأثير دوائه . ولما حضر أخذ يقيس نبض الطفلين ويتسمع الى دقات القلب ، ويفتح مقلة العين ، ويدق بيده على الصدر . . كما لو كان طبيبا يكشف على مريض ، ثم انتصب وهو يقول :

— الطفلان بخير . . وستزول هذه الآثار عنهما بمجرد تناولهما مشروبا آخر سأقوم بإعداده فورا .

وكن طبيعيا أن تثور الأم . وأن ينفجر الأب غضبا . فحسبهما تجربة واحدة يقاسيان منها الآن . . ولا يعلم إلا الله نتائجها .

ولما شاهد أهفوسوك طاهى المطعم حالة الطفلين ووالدتهما ، عرض أن يتوجه الى مزرعة للمطاط يملكها بعض الأوربيين ، وهي تبعد حوالى سبعة أميال من المنجم ، حيث يقيم شقيق له — علم بمنه فيما سبق — أن بالمزرعة استعدادا طبييا كاملا ، وقال انه يعتقد أن فى إمكانه الحصول على الدواء المطلوب والمودة به بسرعة .

ومضى اهفوسوك في طريقه سالكا ممرا وعرا يبدأ من محطة
مالاواكى . ليتجنب مضايقات العصابات والجنود .

وانتظرنا عودته في صباح اليوم التالى . ولكنه لم يعد ، فاتجه
تفكيرنا الى ان لقاءه مع أخيه بعد هذه الغيبة الطويلة ، لابد ان يكون
قد حمله على البقاء معه يوما آخر ، وفي صباح اليوم التالى . لم
يعد ايضا . . واصبح واضحا لنا . أنه لن يعود ابدا .

وعندئذ دعانا كوان لو لتبادل الراى فيما يجب أن ننخذه من
إجراءات للبحث عن اهفو سوك ، وللحصول على الدواء المطلوب .
وكنيت اول من تطوع للذهاب وانا اشاهد الأم ولوعتها ، والطفلين
والآلم الذى يقاسيانه . وأفكارى تذكرنى بزوجتى وطفلى : . ماذا
لو عانى طفلى ما يعانيه هذان الطفلان الآن ؟ . لهذا نشطت رغبتى
فى الذهاب . فقد افعل شيئا يعيد الى نفسى السكينة والهدوء .
وتطوع أيضا للذهاب معى وى كيوى أمين المخزن مبديا خبرته بالمنطقة
وعلاقته بالكثيرين من أهلها الذين قد نحتاج الى عونهم فى الطريق ،
وصحبنا أيضا ونج تى الذى يرى فى نفسه القدرة على تنسم أى
خطر قادم ، وجاجا الهندى الذى يعتقد ان وجوده مع الجماعة
سيجنبها مضايقات السيخ . . ثم توالت رغبات المتطوعين واكتمل
عددنا تسعة . وقبل ظهر الرابع من يناير ١٩٤٢ ، بدانا سيرنا
للبحث عن اهفو سوك . وعن الدواء للطفلين . وكنا نتوقع ان تكون
عودتنا قبل أن ينتصف الليل .

وقبل ان نصل الى محطة مالاواكى واجهتنا أولى متاعبنا ،
فقد اوقفنا دورية مسلحة كانت مشكلة من بعض متطوعى المزارع
والمناجم فى المنطقة لمقاومة رجال العصابات التى تعيث فى الأرض
فسادا . وكنا نبدو لهم — كما كان يدل مظهرنا — كرجال العصابات ،
وكان من المحتم علينا أن نثبت لهم شخصيتنا ووجهتنا . . وتوالى
لقاؤنا بمثل هذه الدوريات ، وتوالى العقبات امامنا . الى ان وصلنا
مالاواكى . . وتأكد لنا أن اهفوسوك قد مر بها من يومين راكبا

دراسته . ثم تابعنا طريقنا الى المزرعة ، سالكين طريقا وعرا خلوا من الحياة ، ولم يصادفنا ما يعرقل سيرنا سوى نشاط طائرات العدو التى كانت تلزمنا الوقوف والاختفاء كلما ظهرت فوقنا . . . وبعد أن تجاوزت الساعة الثالثة بقليل ، وصلنا الى المزرعة واتجهنا الى المبنى الرئيسى . فوجدناه خاويا . وهكذا كان باقى الدور والمخازن . فبحثنا حتى عثرنا على حجرة يعلوها صليب احمر اللون ارشدنا الى ما نبحت عنه ، ولفت نظرنا فى هذه اللحظة وجود طريق ضيق محاط بسياج من الشجيرات الصغيرة يتجه نحو الشرق ، فاتجه تفكيرنا الى احتمال وجود بعض الأفراد مختبئين يراقبوننا ، فقررنا أن ننادى بصوت عال ندعو القوم الينا ، ولكننا لم نسمع سوى صدى اصواتنا . فلم يكن هناك من المخلوقات - أبا كانت - من يسمع نداءنا ، فاتجهنا نحو الصيدلية . وكانت المفاجأة القاسية ما شاهدناه داخلها من تخريب وتدمير . وبدا كان واضحا أننا لم نكن أول الزائرين .

ولم نفقد الأمل مع ذلك . فأخذنا نبحت وننقب علنا نعر على شئ ذى بال . وكانت فرحتنا لا تقدر حين عثرنا على بعض العقاقير . بينها حوالى مائة قرص من الكينين . وزجاجة صغيرة من الأتبرين .

وقبل غروب الشمس بقليل . بدانا رحلة العودة ، مسرعين الخطى قدر طاقتنا ، وبما تسمح به طبيعة الأرض التى نسير فوقها . وبعد حوالى ثلاثين دقيقة سمعنا أزيز القنابل وهى تمرق فوق رؤوسنا وانفجرت أحداها على بعد حوالى خمسمائة ياردة منا . . . وكان هذا نذيرا لنا بأننا نسير فى منطقة يدور فيها القتال عنيفا ، وتحتم علينا أن نعيد التفكير فى موقفنا . ولم نجد أمامنا سوى العودة ثانية الى المزرعة . نقضى فيها ليلتنا .

وكان الظلام حالكا حين وصلنا الى المزرعة ، مما زاد شعورنا بالرهبة ونحن نتجول باحثين عن مكان ملائم نلجأ اليه ، وحين عثرنا على منزل من طابقين . قمنا بتفتيشه بدقة ، مستعينين بضوء

مشعل كهربى كان معنا ، ولما تأكدنا من تخلو المبنى تماما ، وقع اختيارنا على احدى حجراته وضعنا فيها امتعتنا ، ثم اتجهنا نبحث عن الطعام فعثرنا على بعض المعلبات المحفوظة. وجوال صغير من الارز وكمية صغيرة من الشاي . وكان فى كل هذا ما يفى بحاجتنا لأكثر من يوم .

وتناولنا وجبة العشاء ، وكانت الوجبة الاولى لنا منذ غادرنا المنجم ، وعلى الرغم مما بذلنا من جهد طول اليوم ، وما صادفنا من عناء واثارة ، فقد كانت شهيتنا جميعا طيبة ، فأكلنا بشراهة واضحة ، وقبل منتصف الليل بقليل كان الاجهاد قد حل بنا جميعا ، فبدانا - الواحد بعد الآخر - يبتعد عن المشاركة فى الحديث الدائر . ثم يسقط فى فراشه ويستغرق فى سبات عميق . . . وكنت آخر من استغرق فى النوم بعد فاصل موسيقى غير متجانس استمعت اليه - مرغما - من غطيظ الاخوان . وكنت خلاله أحاول أن انسب كل صوت منه الى مصدره . وكان فى هذا الجهد الضائع ما دفع بالنوم سريعا الى جفونى .

وكنت مستغرقا فى احلامي حين دفعنى ونج بنى بحذر ليوقظنى فى هدوء ، وليحذرني من الاتيان بأى حركة قوية أو صوت عال . وكانت الظلمة ما زالت تشمل المكان ، فشعرت بالموقف دون ايضاح من أحد . وتبينت أن هناك بعض الأرجل الغريبة التى تتجول بالقرب منا . فجلست ، وبحثت حولى . فوجدت الجميع متيقظين مدققين السمع يحذر وعناية . وعلى ضوء القمر الخافت الذى كان يتسرب الينا عبر شراع مكسور لأحد ثوافذ الحجرة ، تبينت أن الساعة قد جاوزت الرابعة صباحا بقليل ، ولما انتقلت الى النافذة أنظر خارجها . كانت الرؤية قد بدأت تتضح فى ضوء القمر الشاحب الذى بدأ ينهى مداره خلف الأفق ، وفى نفس الوقت كان الضباب قد بدأ يطوى المكان بستار بدأ خفيفا . ثم أخذ يتكاثف .

وفى جلستنا هذه بدأت تصل الينا أصوات أقدام ثقيلة مقبلة

لحونا فوق الأعشاب الجافة التى تملأ الممر المؤدى الى المبنى حيث
تقيم ، وكنت أراهم من خلف النافذة كأشباح تسمى فى الظلام ،
بعضهم مترجل ، والبعض يدفع دراجته الى جواره . والجميع
يوجهون ضوء مشاعلهم الكهربائية نحو المبنى وما حوله ، يبحثون
ويدققون . واقتربوا منا بعد لحظات ، وبانت وجوههم سمراء فى
الضوء الشاحب . ثم وصل الينا همسهم . ثم تعالت أصواتهم ،
وهمس ونج تى فى أذنى قائلا انهم لابد من أن يكونوا من وحدات
الفدائيين الذين يتسللون خلف خطوط العدو كالأشباح ، فأصابتنى
الرعدة فجأة من برودة الجو حين ضعفت مقاومتى لها بتأثير الخوف
الذى اعترائنى . وحين لمست ذراع جنجيتا سنج ، وكان يجلس
الى جوارى ، لاحظت انه أيضا يرتعد فرقا .. وقد وضع منديله
فى فمه ليمنع صرخة قد تنطلق منه عفوا . وهكذا كان حالنا جميعا
ونحن فى مكننا هذا لا ندرى ماذا سيصيبنا أو يحل بنا .

وأصبح الجنود أسفل النافذة ، وسمعنا بجلاء حديثهم ، وكان
أحدهم يتحدث بصوت خشن عال ، ويبدو انه الضابط الوحيد
فى المجموعة ، وكان يوجه أسئلته الى أحد مرافقيه . وكان أهم
هما جاء فى حديثه - على قدر ما تسعفى ذاكرتى - قوله :

- كم يبعد هذا المكان عن محطة السكة الحديدية ؟ .

- خوالى ثلاثة أميال .

- هل تأكدتم من خلو المنطقة من أى جندى بريطانى ؟ .

- نعم يا سيدى . بكل تأكيد .. فلا شك فى انهم فروا هاربين
كالجرذان ، وكان لمنشور القائد الأعلى تأثيره الكبير على السكان .

- جميل جدا .. عظيم ..

وبعد لحظة قصيرة تابع أسئلته وهو يقول :

- كم عدد العمال الذين يعملون هنا .. وماذا حدث لهم ؟ .

— كانوا لا يزيدون على المائة والأربعين من الهند الصينية ؟
وحوالى السبعين من الصينيين ، وقد فروا الى الغابات . ويحتمل
ان يكون البعض منهم قد لجأ الى المزارع المنتشرة حولنا لينضموا
الى اقاربهم فيها .

— هل سلاح الجيش البريطانى هؤلاء العمال قبل هروبهم ؟

— كلا يا سيدى . . لم يحدث ذلك . المدير فقط — وهو اوربى
الجنسية — لديه بندقية وطبنجة ، وقد اخذهما معه عندما هرب
هو ايضا كالفار الأجرب .

— هل تؤكد عدم قيام البريطانيين بعمل أى كمائن من هنا حتى
محطة السكة الحديدية ؟

— اؤكد هذا يا سيدى . فقد انسحبوا جميعا نحو الجنوب .
حتى كامبار ، وكولا ديبانج ، وعند وصولنا الى محطة مالا واكى
سنكون قد قطعنا خط الرجعة تماما على أى قادم من الشمال .

— هل هناك أى جماعات مقاومة منظمة ؟

— كلا يا سيدى . . لم نعر الا على بعض الأفراد يقومون بأعمال
السطو — وان وجد غيرهم — فلن يمثلوا أى خطر على قوات
الامبراطورية الباسلة .

— لقد ذكرت شيئا عن المزارع فأين هى ؟

— منتشرة يا سيدى فى المنطقة . . ولكنها الآن مهجورة غالبا .

وهنا رفع الضابط يده الى اعلى وهو يحاول التعرف على
الوقت فى ساعته مستخدما المشعل الكهربى . ثم تساءل قائلا :

— كم تستغرق المسافة من هنا الى المحطة ؟

— اذا سلكنا الطريق القصير فلن يستغرق منا اكثر من ساعة
ويضع دقائق . .

ثم أصدر القائد بعض التعليمات لجنوده ، وانتظم الجنود صفوفا بدأت تتحرك مبتعدة ، يتبعها راكبو الدراجات .. وكان عددهم على ما تبين لنا .. يزيد على الستين جندياً .

وبعد أن ابتعدوا تماماً .. كان ونج تى أول من تكلم قائلاً :
— يا الهى .. ماذا كان يحدث لو أنهم فكروا فى الإقامة هنا ؟ !

الفصل الخامس

توالى الحوادث بسرعة ، حتى أصبح من العسير التنبؤ بحقيقة ما يدور على بعد أميال قليلة منا . والأمر الوحيد الذى أجمعنا عليه بلا أدنى خلاف أو تردد ، هو خطورة عودتنا معاً الى المنجم مترافقين . بعد أن أصبح من المؤكد أن القوات اليابانية تقف الآن فى طريقنا ، والله وحده يعلم ماذا ينتظرنا . لو قدر لهم . أن يتنبهوا إلينا . وعلى هذا فقد كان تقديرنا أن أى محاولة منا للسير جماعة سيكون مصيرها الفناء لنا جميعاً .. وبالتالي فلن يصل الدواء الى أبناء كوان لو ..

وكان أن اقترح هاليسمات وجانجيتا سنج أن يقوما وحدهما بمحاولة التسلل الى المنجم ، وعزز هاليسمات رأيه قائلاً :

— لسنا ندعى لانفسنا شجاعة خاصة تفوق ما لديكم . ولكننا نعلم أن اليابانيين لا يكونون أى ود لشعبى الملايو والهند — بصفة خاصة — وعلى هذا فنحن نشعر أن الظروف ستكون مواتية لنا أكثر منكم ، وستكون الفرصة أمامنا فى النجاة والوصول الى المنجم اكبر مما قد تتوافر لأى منكم . وطالما أننا قد اتخذنا قراراً . أن لا نعود الا فرادى . فأرجو أن أبدا أنا والأخ سنج المحاولة الأولى .

وقد لقي هذا الاقتراح ترحيباً من الجميع ؟ وحمل هاليسمات
الاثبرين . وحمل سنج الكينين بين طيات ثيابهما ، بعناية وحرص ؟
وتغادرانا حوالى الثامنة والنصف صباحاً .

وحوالى الساعة الحادية عشرة صباحاً ، فوجئنا بهما عائدين
الىنا والرعب يملأ قلوبهما والذهول يعقد لسانيهما ، وبعد أن
استراحا قليلاً . . وتناولوا جرعات من الشاى المركز ، أوضح لنا
هاليسمات الموقف حين قال :

— سلكننا طريقنا حتى قبيل محطة مالاواكى دون أن نلتقى
بأحد . . وقبل أن نصل الى المحطة . . وعى بعد حوالى ثلاثمائة
ياردة منها سمعنا صرخات مدوية تقطع السكون الذى يحيط بنا ؟
فقررنا أن نتحرى الموقف ، وأن نبحث عن مصدر هذه الصرخات ؟
فتقدمنا بحرص وحذر مستترين خلف الأشجار والأغصان الكثيفة .
الى أن وقعت نظارنا على منظر اثار رعبنا . فعلى بعد حوالى مائة
ياردة فقط منا كان يقف تسعة رجال ، مقيدون بالجبال ، كل الى
شجرة ، سبعة منهم صينيون ، واثنان من البنجاب ، كانوا ينادون
حراسهم طالبين الرحمة . . ثم قدمت ثلة من الجنود واصطففت امام
الأسرى ، وصدرت اليهم أوامر القائد ، فرفعوا سلاحهم وصوبوه ؟
وأطلقوا نيرانهم على الضحايا . فسقطت رؤوسهم فوق صدورهم
والدماء تنبثق من جراحهم .

توقف هاليسمات قليلاً ، يسترد أنفاسه ، قبل أن يتابع حديثه
قائلاً :

— كان منظرنا مريعاً ارى فيه . . للمرة الاولى . . رجالاً أبرياء
يقتالون كالكلاب . . وكان من الطبيعى أن لا نتابع رحلتنا . . وأن
نقرر العودة .

كان هذا التصرف منهما — محل تقديرنا جميعاً — اذ لا يمكن
أن نصفهما بالجبن أو التردد ، ونحن نعلم أن هؤلاء الجنود منتشرون

بالمنطقة ، وانهم يعتبرون سكانها جميعا - وبلا استثناء - أعداء لهم - جزاؤهم الموت . وطالما انهم قد استولوا على مالاواكى وانتشروا فيما حولها . فالطريق الى المنجم أصبح غير مأمون .

ومضت الساعات الباقية من عمر هذا اليوم دون أن نصل الى قرار سليم بالنسبة للخطوة التالية ، بعد أن تدارسنا موقفنا ، واستعرضنا الظروف المحيطة بنا ، واستبد بنا القلق . . فقد كنا نخشى أن تقع فى المصيدة فنلقى مصيرنا كغيرنا ، كما كنا قلقين على اخواننا فى المنجم ونحن نقدر مدى انشغالهم علينا . ماذا لو لم يعد هاليسمات وسنج ؟ ! . هل كنا ندرك حقيقة موقفهما ، أو ما يكون قد أصابهما ؟ . وماذا لو كنا سلكنا طريقنا خلفهما ! . لا شك أننا أيضا كنا سنواجه نفس المصير ! . أوحى إلينا هذا الخاطر بضرورة العمل على تأمين تحركاتنا بوسيلة ما تربطنا حين نسير فى جماعات صغيرة متتابعة . واستقر رأينا على اشارات معينة تتركها الجماعة المتقدمة ، وتهتدى بها الجماعات التالية لها . كالحفر على الشجر ، أو بوضع علامات على الأرض بالأحجار . أو بالأغصان . . وهكذا . .

وقررنا ان نبدأ المحاولة فى الصباح الباكر ، وتطوعت أنا وونج تى للعمل كجماعة قائدة ، وكانت خطتنا مبنية على أساس الالتفاف بمنعدين عن المحطة حتى نلتقى بالسكة الحديدية - بعد مالاوى ، بمسافة امن تكفى لتحقيق سلامتنا .

وفى اللحظة الأخيرة طلب وونج تى أن يصحبه كوكا ما بدلا منى - فى الجماعة القائدة - فقبلت مكرها ، وكما فعلنا فى المحاولة الأولى ، حمل كل من وونج تى وكوكا ما جزءا من الدواء . وبدءا رحلتهم . .

وعند الظهر انتابنا جميعا شعور من القلق قبل أن تبدأ الجماعة الثانية رحلتها كما كان مقررا ! . ترى هل نجح وونج تى ورفيقه

إلى أحدهما في تخطي الحاجز الناري الذي أقامه اليابانيون ؟ . هل
اكتنبت لهما السلامة ؟ . أو لا .

وكان أن قررنا تأجيل موعد قيام الجماعة الثانية حتى تحين
الساعة الرابعة . فقد نستطيع الوصول الى بعض ما يطمئنا على
مصرهما ! .

وقبل أن تشير الساعة الى الثالثة بقليل أصابتنا صدمة مذهلة
ونحن نتنسم رائحة عاصفة عاتية اخذت تهب علينا ، مصحوبة
بأمطار غزيرة ، فأصبح من العسير على أى منا الخروج من المبنى ،
وصار قيام الجماعة الثانية برحلتها .. يعد نوعا من الانتحار .

فبقينا داخل المبنى .. كما لو كنا في قفص لا نستطيع منه
فكاكا - واستمرت العاصفة .. برياحها الشديدة وأمطارها
الغزيرة .. وأصبح كل أملنا .. وكان أملا ضعيفا - أن تنجلي
عنا هذه الغمة قبل الصباح . وفجأة سمعنا دقات متوالية على الباب
الخارجي للمبنى ، وكنا قد أحكمنا غلقه - وصياحا يقول « افتحوا
الباب .. افتحوا لنا .. أنا ونج تى .. أنا كوكاما .. » فأسرعنا
نفتح لهما ونتلقاهما بالعناق والترحاب ، وكان بصحبتهما
رجل غريب نراه للمرة الأولى . كانت ثيابهم تقطر ماء .. وكان
الوحد يكسوهم من الرأس الى القدم .. وكان الاجهاد باديا عليهم ،
وكانت خطوتنا الأولى أن نزعنا عنهم ثيابهم ، واستبدلنا بها مائسرة
لنا الحصول عليه من المنزل ، بعد أن أضفنا اليه بعض ما كنا
نرتديه ، ثم وفرنا لهم شرابا ساخنا واجلسناهم بجوار المدفأة -
بعد أن أشعلنا نارها - وتركناهم لينالوا قسطا من الراحة قبل
أن نستوضحهم ما حل بهم .

ومضى وقت قبل أن يصبحوا في حالة تسمح لهم بالكلام .
لنسمع منهم قصتهم المثيرة .. التي أوضحوها لنا على الوجه التالي:

سار ونج تى وكوكاما في طريقهما المرسوم .. وكانت كل
المزارع والمناجم التي يمرون بها مهجورة تماما - لا حياة فيها أوفيا

حولها - الى أن اقتربا من إحدى مزارع المطاط وأدهشهما أن يريا
.. لى كوى - الرجل الثالث الذى قدم بصحبتهما - يشير اليهما
من احدى النوافذ . وكان يقيم بالمزرعة .. هو وزوجته .. وابنه
- فى السابعة عشرة - وابنته - فى الثالثة عشرة - وكان يعمل فى
التحطيب ، ويقوم بتوريد خشب الأشجار لاستخدامه كوقود .
وقد تردد كثيرا قبل أن يفكر فى الهجرة ، ولما قرر أن يصحب أسرته
بعيدا عن موضع هذا الصراع .. كانت الفرصة قد ضاعت منه ..

وفى صباح الأمس ، كان لى كوى قد غادر منزله ليقضى حاجته ،
وكانت زوجته ترقد فى فراشها ، وفى حجرة مجاورة كان يرقد
ولده وابنته . وفجأة سمع لى كوى صراخ زوجته وولديه كما لو كانوا
قد اصابوا بلوثة أطاحت بعقولهم .. فاندفع نحو المنزل ، ولكنه
توقف فجأة حين تبين ثلة من الجنود تحيط بالمنزل فاتجه بحذر
إلى بركة برى منه ، ولا يرى ، ووقف يشاهد ما يجرى أمامه وهو
أعجز ما يكون عن الحركة لمعاونة أسرته التى تستجير وتتألم ..

ومن مكنه هذا شاهد ولده يجرى مندفعاً .. وخلفه جندي
رفع سلاحه وأرداه قتيلاً .. ثم شاهد بعض الجنود يسوقون زوجته
وابنته ويدفعونهما أمامهم بمؤخر بنادقهم ، وهما تولولان وتصرخان
.. الى أن اختفى الجنود بهما داخل الأحراش . وبقي لى كوى واقفاً
بغير حراك ، لا يملك من أمره شيئاً ، ولا يستطيع حتى الظهور
أمام هؤلاء الجنود .. الى أن سقط فاقد الوعي ..

ولما أفاق كانت الشمس قد قطعت ساعات من مدارها ..
فاندفع نحو الأحراش يبحث .. ويبحث .. دون جدوى .. فعاد
الى جثة ابنه يواريهما التراب .. وهو يقسم أن ينتقم من هؤلاء
الوحوش طالما كانت فى عروقه قطرة دم تنبض .

وفى الصباح التالى عاود البحث .. وقادته قدماء الى مقربة من
مالاواكى ، وفى طريقه عثر على ثلاث جثث عريت تماماً من كل
مايكسوها ، وكانت لسيدات فى عمر الزهور ذبهن الجنود ذبح

الشيء ، ولم تكن زوجته وابنته بينهما • ولما تابع سيره فوجىء
ببعض الضحايا مقيدين الى الأشجار •• مبقورة بطونهم • ولم يتمالك
لى كوى نفسه بعد ذلك فجرى مبتعدا ، ولم يشعر بنفسه الا وهو
واقدا فى حجرته بالزرعة ، حيث البقى بوجى تى وكوكاما ••

ولما كانت طبيعة عمل لى كوى فى الغابات قد أعطته خبرة
خاصة بمسالكها ودروبها ، فقد عرض على ونج تى وكوكاما أن
يصحبهما ليرشدهما الى طريق آمن الى المنجم ، وفى أعماق نفسه
كان يرغب فى الابتعاد عن المنزل الذى عاش فيه مع زوجته وولديه
سعيدا •• وعن المكان الذى شاهد فيه مصرع ولده • ولكنهم لم
يتقدموا كثيرا •• اذ أوقفهم صوت نداء متبادل بين جماعتين من
الجنود - أكد لهم خطورة موقفهم ، وسوء مصيرهم • اذا تابعوا
السير فى نفس الاتجاه •

وحين بدءوا يسلكون طريقا جديدا ، بدأت العاصفة ••
ثم اشتدت •• ولم يبق أمامهم سوى العودة اليها •• ولحسن حظهم
كانت خبرة لى كوى بالطريق كفيلة بتأمين سلامتهما حتى وصلا
اليئسا •

وتبادلنا الرأى بعد ذلك فيما يجب علينا أن نفعله ، وكان
واضحا - نتيجة للتطورات السريعة للموقف ، التى تلاحقنا بهذه
الصورة - أنه من المحتم أن نعيد الكرة •• وأن نتقدم فى مجموعات
صغيرة أيضا ، ولكن بفاصل لا يزيد عن ٢٠٠ ياردة ، وعلى رأس
المجموعة الأولى يتقدم لى كوى • وكان علينا أن نعتمد على أنفسنا
- كلا بمفرده - اذا حدث ما عرقل تقدمنا • وعلى ذلك وزعنا
- فيما بيننا - كل ما نملك من دواء وعقاقير •• فمن يصل منا
الى المنجم •• يقدم بعض الدواء للطفلين المريضين •

لم يطرق النوم جفوننا طوال هذه الليلة تقريبا ، وحين تغلب
ارهاق الجسد على ما كنت أعانيه من قلق وأرق - داهمنى كابوس
ثقيل - لم أفق منه الا على صوت تخيلته نداء من لى لان ••
يقول فيه :

- ليو قونج .. استيقظ يا حبيبي .. فالطريق آمن الآن ..
فناديتها بكل ما أملك من عزم وقوة وأنا أصبح قائلاً :

- لى لان .. أين يا حبيبتي ؟
لا بد أنني كنت قد تجاوزت المعقول في هذا الحلم ، الذي كنت
أعيش فيه لحظات وددت لو كان حقيقة ، فقد شعرت بأنظار الجميع
تحيط بي في دهشة واستغراب ، وحين استيقظت من رقادي ،
سألني ونج تى بمن تكون لى لان هذه .. التي كنت أناديها في
رقادي ؟ .. وسألني آخر .. عما إذا كنت بخير ؟ ..
فأجبتهم قائلاً :

- اننى بخير والحمد لله .. وأؤكد لكم أنني سمعت صوتاً
يقول لى .. استيقظ .. فالطريق آمن الآن .. ،
وفي هذه اللحظة فقط .. بدأت أولى تباشير الصباح .. حين
أخذت الشمس تبرز من مرقدتها وتلقى شعاعها الخافت ليبدد حجب
ظلام الليل الطويل ..

وهنا صاح لى كوى قائلاً :

- قال طيب .. ويوم سعيد باذن الله .. دعونا نبدأ مسيرنا
فوراً .. فلا تضيع منا لحظات لها قيمتها في حياة طفلين ..

الفصل السادس

كان من حسن الطالع أن يرافقنا لى كوى ، الحبير بهذه المسالك
والدروب ، وتتسابع الجماعات متسللة ، طبقاً للخطة المقررة ،
وبالفاصل المحدد بين كل جماعة وأخرى ، بحيث لا تتحرك الجماعة
التالية .. الا بعد أن تصلها إشارة الأمان من الجماعة المتقدمة
عليها . ولقد مررنا بأكثر من اثنتى عشرة مزرعة كانت جميعها

مهجورة تماما .. وحوالى الساعة السابعة صباحا .. وصلنا الى
السكة الحديدية ، وعبرناها جميعا - فردا بعد فرد ، كنا نرى بزج
منجم فات كونجس على بعد منا ، فجعلناه مرشدنا ، واتجهنا نحوه ..
وحين وصلنا الى مسافة قريبة منه ، أدهشنا أن نجد ونج تى ورفاقه
أفراد الجماعة القائدة .. ينتظرون وصولنا ، بدلا من أن يتابعوا
تقدمهم منفردين ، وحين وصلنا أبدى ونج تى دهشته مما يراه ..
وهو يقول :

- لا أدري ماذا حل بالقوم هنا ! .. لا أرى أى فرد من عمال
المنجم ، ولا أتشم أى حياة !

فاقترحت أن نقوم بجولة طويلة حول المنجم ، لنصل الى الأحرار
الواقعة خلفه ، وندخل منها الى مؤخرة المنشآت المقامة بالمنجم ..
فوافقوا جميعا . كانت مظاهر السلب والتدمير واضحة للعيان ..
فى كل مكان ، وليس هناك ما يدل على المقاومة أو سفك دماء ..
وكان من الطبيعى أن نستبعد حدوث سطر عصابات .. وأن نتجه
أفكارنا نحو .. الجنود . ولكن أين رجال المنجم .. وماذا كان
مصيرهم بعد هذا العدوان ؟ ..

- ثم تابعنا طريقنا .. ووجدنا ما كنا نبحث عنه .. فرجال
المنجم .. جثث بشرية ، مجردة من ملابسها ، ملقاة فى الحفر
المنتشرة بالمنطقة ، تغطيها ملايين الحشرات .. تنهش فيها ..
لم نحاول أن نعرف عدد هؤلاء البؤساء ، أو نتعرف على أى منهم ..
فالمحاولة غير مجدية .. وغير متيسرة .. دار فى ذهننا كل ما كنا
نعرفه عن هؤلاء الجنود وما فعلوه فى الصين قبل ذلك .. ولم نتوقع
أن نرى منهم ، فى بلادنا هذه ، غير ما فعلوه فى الصين قبل اليوم ..
يكفى أن يعتدى على أى جندى منهم ، ليكون انتقامهم المريع فى
صورة مذابح لثبات الأبرياء .. فى كل مكان .. وتنهبنا فجأة ..
وأفكارنا تحوم حول أهلنا وعشيرتنا وأحبائنا ، الذين تركناهم

تخلفنا فى منجم كوان لو .. وارتعدت فرائصنا ملعا ، لما يمكن
أن يكون قد أصابهم ..

ووصلنا أخيرا الى منجم كوان لو

أين هذه الكلاب المتيقظة الساهرة حول المنجم ؟ ، وأين صوت
نباحها ونحن نقرب منها ؟ وأين حراسنا الرابضون فى مراكزهم
المحددة للأنذار والحراسة . لماذا يبدو المكان موحشا ؟ خاويا ..
لا حركة فيه .. ولا حياة . مأسر هذا السكون الرهيب ! أصابنى
الذهول ، فانطلقت أعدو الى الداخل .. يتبعنى الباقون ..

كنا على مقربة من المطبخ ، فدفعنا بابه ودخلنا لنرى كل ما فيه
مبعثرا .. مخربا ، وصاح ونج تى ينادى زوجته وأولاده .. فلم
يسمع سوى رجع صوته ، وعلا صونى ينادى العم ليو والعمة هوو
.. ولا مجيب ، وهكذا كنا جميعا .. ننادى بلا رجاء ، ثم اندفعنا
الى باقى المباني .. وكانت جميعها فى حالة من الفوضى تنبئ بما
توقعناه . وفى حجرة كوان لو .. وجدنا حشية مخضبة بالدماء ،
ولما اتجهنا الى أعلى المدخنة .. أدهشنا أن نجد الرشاشين ..
مضافا اليهما طبنجة جديدة .. لم تكن لدينا من قبل . فحملت أنا
وونج تى الرشاشين ، وحمل وى كيوى الطبنجة ، وتسليح الباقون
بالحراپ وقطع الحديد .. وانطلقنا نبحث فى كل مكان .. أين
يمكن أن يختفي هكذا .. ما يقرب من المائة فرد بين رجال ..
ونساء .. وأطفال ! ! ربما يكونون مختبئين فى الملاجئ ولا تصل
أصواتنا اليهم .. فأسرعنا نحو ملجأ كوان لو .. وفى طريقنا اليه
توقفنا أمام ثلاثة ملاجئ أخرى ، لفت أنظارنا عندها أن أغصان
الأشجار والمواد التى كنا قد وضعناها عليها لاختفائها .. قد أزيلت
تماما ، وأن الملاجئ قد عريت من كل ما يسترها ويخفيها عن أنظار
الفضوليين ، وكانت خالية من كل شئ سوى المياه التى غمرتها حتى
الحافة . ثم تقدمنا الى ملجأ كوان لو .. ولدهشتنا وجدنا بابه
مفتوحا .. وحوله تنتشر قطع ممزقة من ملابس نسائية ، وخصل

من شعورهن مخضبة بالدماء .. وتابعنا بحثنا الى أن زكمت أنوفنا رائحة عفنة كريهة اتجهنا نحو مصسدرها ، وبحذر وعناية أزلنا ما يعلو أحد أبوابه ، ولما رفعنا الباب .. سمرت أقدامنا جميعا ، وانعقدت السنتنا . ونحن نرى من كنا نبحت عنهم . جثثا عفنة ، متراكما بعضها فوق بعض داخل هذا الملجأ ، وما جاوره من ملاجئ . وكان فى هذا الكفاية لتتضح لنا حقيقة المأساة التى عاشها قومنا !! .. فترة غيابنا عنهم .. والتى لم تزد عن ثلاثة أيام .. ولم يمتلك البعض منا شعورهم فأخذوا ينوحون ويولولون ، وصاح ونج تى يقول :

- أغلقوا هذه المقابر .. لعنة الله على هؤلاء الوحوش .. بحق السماء .. سانتقم لكم أيها الأبرار .. !!

ثم سقط مغشيا عليه ، فنقلناه بعيدا الى حيث يستطيع أن يسترد أنفاسه ، وحين أفاق .. كان يبسو هادئا ، ولكننا كنا نشعر بما يدور فى داخله .. من صراع . كنا قد اعتدنا أن نحترم رأيه .. وأن نقبل مشورته ، كان لنا بمثابة القائد للجماعة .. وكنا فى هذه اللحظة ننتظر منه أن يتكلم .. وأن يأمر .. ولكنه بقى صامتا .. ومرت لحظات علينا طويلة .. حتى قال :

- أقسم بأرواح أجدادى .. وشهدائى الأبرار .. أننى لن أضعف ولن أستكين .. وأننى سأكرس كل دقيقة من عمرى .. وكل قطرة من دمنى .. للانتقام لزوجتى وأولادى .. ول هؤلاء الأبرار .. وسأبدأ من اللحظة ..

ولكنه توقف فجأة حين بدأت المعجزة تظهر أمامنا .. فتد فتح باب الحجرة ، واندفع منها شبحان .. كنا نعتبرهما فى عداد الشهداء ، هما نى سن مساعد الميكانيكى ، وبن لين الكاتب .. وكانت سعادتنا بهما تفوق الوصف ، ولم ننتظر أن يوضحا لنا ما أصاب المجموعة ، بل أمطرناهما بالأسئلة المتلاحقة . وكانت إجابتهما الوحيدة أن طلبا أن تتبعهما ، وتقدما إمامنا الى غرفة

الماكينات .. وكم كانت فرحتنا وسعادتنا حين وجدنا لان تا ..
والعم ليو .. يرقدان على حشيتين من القش .. يرعاهما سك كي
.. أحد الكتبة . كان كلاهما فى حالة تدعو الى الرثاء .. يعانيان
من جراحهما .. ومن حمى أصابتها .. ومن صدمة نفسية حلت
بهما .. ورغم حالتها هذه .. فقد كنا سعداء بهما .. ونحن
فراهما ، ونرى الباقيين من الأحياء بيننا فاختلطت دموع الألم ..
بدموع الفرح ، وهى تنهمر غزيرة على الوجوه ، فالرجال .. مهمما
لكانت قوتهم ، وشجاعتهم ، لا بد أن يبكوا أحيانا .. وهذا الموقف
ولا شك ، يحمل على البكاء .. !

رجوناها الا يتكلما .. وأن يرقدا فى هدوء واطمئنان ،
وكان علينا أن نقوم بواجبنا نحوهما الآن ، لتضميد جراحهما ،
ومحاولة علاجهما .. بما تيسر لنا من دواء ، وبما لدينا من خبرة
.. وان كانت قليلة ، ولكنها بلا شك نافعة . وكان من أجمل
الأمور أن نرى السعادة والاطمئنان يرتسمان على وجهيهما ..
بعد أن قاسيا أبشع ما فى الكون من رغب وقسوة .. وبعد أن
حطمتها آلام النفس الحزينة .. المدعورة .

وفى وقت متأخر من هذا اليوم ، كان العم ليو قد تما لك نفسه ،
وأصبح فى حال يمكنه من سرد ما ألم بهم من كوارث .. فبدأ
حديثه بصوت واهن خزين وهو يقول :

- بعد أن غادرت المنجم للبحث عن الدواء ، أخذت الطائرات
اليابانية تملأ سماء المنطقة باحثة منقبة ، الأمر الذى أكد لنا
ما سنواجهه من متاعب . وقبل الغروب بدأ دوى انفجار القنابل
يقترّب منا ، وأزيز طلقات الرصاص يقضى على السكون الذى يحيط
بنا ، ومع دورات الساعة .. كانت هذه الأصوات تقترب ..
وتشتد ، وضاعف قلقنا ولهفتنا ، تأخركم فى العودة إلينا ، بينما

القوات اليابانية تملأ المنطقة وتسد المنافذ وهي تطارد القوات الانجليزية المنسحبة .

وتوقف العم ليو لحظات قليلة .. كمن يحاول أن يجمع شتات أفكاره .. ثم تابع حديثه قائلاً :

- توقعنا أن تحل بنا المتاعب هذه الليلة ، فعملنا مسرعين على زيادة اخفاء ملاجئنا ، وتناولنا وجبة العشاء مبكرين ، ودخلنا الملاجئ ، وأحكامنا غلقها . كانت أصوات القتال الدائر تصلنا طوال ساعات الليل ، وقبل الفجر سمعنا نباح الكلب المربوط في الركن الجنوبي الغربي للمنجم ، ولم تمض لحظات حتى أسكت بطلق ناري .. وبعد لحظات أخذت باقي الكلاب تنبح بشدة كما لو أصيبت بمس من الشيطان . وكنا على يقين من وصول اليابانيين إلينا .. بين لحظة وأخرى ، ولكن الدقائق مرت طويلة قاتلة ، ولم يحدث شيء !

وفي الصباح أرسلنا فردين لاستطلاع الموقف في الخارج ، فعادا بهذه الطبنجة ، وهي كما ترون انجليزية الصنع ، فتأكد لنا أن من زارونا بالأمس ، كانوا من الانجليز ، وفي الحال أرسلنا من وضع الطبنجة في المخبأ مع الرشاشين .. وعينا دائرية من ثلاثة أفراد تراقب المنطقة من أعلى البرج .

وقبل أن تمضي ساعة واحدة .. انذرتنا الدورية باقتراب ثلة من اليابانيين فأحكامنا غلق الملاجئ علينا .. وبدأت الكلاب تنبح بعنف وشدة ، وسمعنا بعدها صوت طلقات أسكتت الكلب الموجود على المدخل .. وبعد لحظات تتابع أسكات باقي الكلاب .. ولم تمض دقائق حتى سمعنا صوت محرك لوري كبير وعلا صياح الجنود وهم ينزلون منه .. ثم وهم ينتشرون مبتعدين عنا ، ليقوموا بالتفتيش فيما حول المنجم وفي داخل منشآته ..

كان الرعب يملأ قلوب النساء والأطفال .. وكانت قلوبنا تكاد تتوقف نبضاتها .. حين نسمع أقدام الجنود تقترب منا ، وطالبت

لحظات رعبنا وهلعنا ، وفجأة .. توقفت خطوات الجنود وهي فوقنا تماما .. ووصلت اليها أصواتهم بوضوح .. وكانت لحظات مثيرة .. كتمنا فيها أنفاسنا تماما .. ونحن نحاول أن لا تصدر منا حركة ، أو يصدر عنا صوت يكشف أمرنا ، ولكن القدر كان ضدنا ، إذ لم تستطع أعصابنا أن تتحمل ما كنا فيه ، فما بالك بالأطفال ! فانفجر أحدهم يبكي ويصيح .. بعد أن عز عليه الهواء النقي .. وذهبت جهودنا سدى لاسكاته ، وضاعت فرصتنا في النجاة ، ولم تمض لحظات .. حتى كان باب الملجأ قد انفتح .. وظهر عليه ثلاثة من الجنود ..

وهنا انتابت العم ليو نوبة من السعال الحاد ، خشينا أن تصيبه بأذى ، وهو على هذه الحال من الضعف .. والوهن ، فأوقفناه عن الحديث الى أن ينال قسطا من الراحة ، ولما استرد أنفاسه - بعد أن تناول قدحا من الشاي المركز - عاود الحديث ونحن جلوس حوله ، على شوق للمتابعة .. فقال :

- ولما خرجت من الملجأ .. تبينت أن أمرنا جميعا قد انكشف ، وأن باقى الملاجئ قد أخليت من اللاجئين اليها ، وكان الجنود يحيطون بنا احاطة السوار بالمعصم ، وهم يأمروننا بالاصطفاف في مجموعات .. بعد أن فصلوا الرجال عن النساء .. عن الأطفال ..

وبعد لحظات ، أقبل الضابط الذى يقود هذه القوة ، محاطا بضابطين أصغر رتبة .. وهم جميعا يرمقوننا بنظرات الغيظ .. والحق .. والتشفي وصاح القائد يقول بلغة انجليزية ركيكة :

- هل أنتم تتكلمون الانجليزية .. هل تفهمون الانجليزية ؟

فلم يجبه أى فرد منا ، إذ كنا فى حالة من الرعب تشل السنتنا ، ثم تابع القائد حديثه قائلا :

- من صاحب هذا المكان ؟

-

- من صاحب هذه العربات ؟

-

وبعد لحظات فاجأنا كوان لو وهو يتقدم للأمام ويقول :

- هذا المكان وهذه العربات ملك لي ..

فرمقه القائد بنظرة قاسية وهو يقول :

- سلمنى المفاتيح حالا ..

فأخرج كوان لو حزمة المفاتيح من أحد جيوب سترته وأعطاهما

له .. وتابع القائد أسئلته وهو يقول :

- هل أنتم جميعا صينيون ؟

فأجابه كوان لو قائلا :

- اننا من الصين فعلا ..

- هل أنتم من أتباع شيانج كاي شيك .. أم من أتباع وانج

شنج وي ؟

- لقد أتيت الى هنا وأنا طفل .. وعشت فى الملايو أكثر من

أربعين عاما .. وحين أموت .. سأموت فى الملايو .. فابا الآن

أنتسب الى الملايو .. وهى وطنى

- أنت كاذب أيها الوغد ..

قالها وهو يستدير نحو أحد جنوده ويأخذ منه بعض الأوراق

التي عنروا عليها فى المنجم .. قبل أن يتابع حديثه قائلا :

- أنت كاذب أيها الكلب .. هذه صور شيانج كاي شيك ..

وأنتم من أتباعه ..

ثم توقف قليلا قبل أن يقول :

- هل مر الانجليز من هنا هذه الليلة ؟

- لم نشاهد أحدا منهم .. كنا نجنبنى هنا طوال الليل ..

لكننا وجدناهم ..

— كاذب .. كاذب .. والكذب صفة سيئة فى الرجال ، أنتم
لا تتعاونون مع جنود جلالة الامبراطور ..

قالها وهو يستدير لياخذ من الجندى صورتين وحوذة ..
ثم يقول :

— هذه خوذة جندى انجليزى .. وهاتان صورتا ملك الانجليز
.. وملكتها ، لقد وجدناهما فى المنجم .. أنتم تحبون الانجليز ..
وتتعاونون معهم أيها الخونة ..

— نحن لا نحبهم .. ولا نتعاون معهم .. فنحن نحب الملايو ..
فقط ..

— لماذا لم تهاجروا كما فعل غيركم .. لقد سلحكم الانجليز
لتقفوا ضدنا ، وتقاتلونا .. أنتم جواسيس .. طابور خامس ..
— نحن لم نهاجر وفضلنا البقاء هنا لنحافظ على المنجم ..

فانفجر الفائد غاضبا واستدار نحو ضباطه ملقيا أوامره ..
وتوالت الأوامر تصدر من القادة الى المرؤسين .. وتجمع الجنود
حول مجموعاتنا .. وأمرونا بالسير ، كل فى اتجاه معين — ثم
أمرنا كل جماعة بالوقوف صفا واحدا أمام أحد الملاجىء ..
وأن نخضع كل ما علينا من ثياب .. والا نتحدث فيما بيننا .. والا
تصدر منا أية حركة .

وفجأة انهار أحد الرجال وأصيب بهدمة أفقدته العقل وسقط
على الأرض يصرخ ويولول ، فتقدم أحد الجنود وطعنه بالسونكى
.. فبرزت أحشاؤه ، وتفجرت دماؤه .. ثم سكبت الى الأبد ..
وبعدها تقدم جندى ثان وسحب الجثة وألقاها فى الملجأ ..

وبعد لحظات .. كنا نحن الرجال — نقف فى مواجهة طاقم
رشاش جاهز للضرب ، وخلف الرشاش كانت تقف ثلة من ستة

جنود شاهرة سيوفها ، ثم صدرت أوامر القائد : إلى الطاقم . .
« استعد ، صوب ، اضرب » . فانهمرت نيران الرشاش تحصدنا
حصدا ، فشعرت بآلم مضمن فى سباقى . . وسقطت فاقد الرشده .

وحين تفتحت عيناي ثانية ، كنت أرقد فى غرفة الماكينات
والى جوارى يرقد أيضا تان تا . . وحولنا ثلاثة رجال ينظرون الينا
بعطف وحنان . لقد كانوا أفراد الدورية التى كانت تقف أعلى
البرج ، لتراقب المنطقة ، وتحذرننا من اقتراب الجنود .
وتابع نى سن ، أحد الثلاثة ، الوصف . . فقال :

- بعد أن سقط الرجال صرعى نيران الرشاشات . . تقدم
الجنود مسرعين وانهالوا بسيوفهم طعنا فى الجثث ، ثم ألفوا بها
فى الملاجىء القريبة منهم ، ثم أغلقوا الملاجىء ووضعوا الأحجار
والتراب عليها . .

ثم اتجه الجنود نحو النساء والفتيات ، واتجهوا بهن نحو
الأحراش ، وتعالى الصراخ والعيول . . وحين خمدت الأصوات عاد
كل جندى يحمل جثة ، ويلقى بها فى الملجأ . . وما حل بالرجال
. . كان قد حل بالأطفال . . وفى أقل من ساعة كانت هذه الأرواح
البريئة قد أزهقت ، وسكنت الى الأبد ! .

وحوالى الظهر - صدرت أوامر القائد بالتجمع والعودة . . وحين
ابتعدوا بعيدا ، نزلنا من مخبئنا فى البرج وأسرعنا نحو الملجأ
القريب منا ، ولفرحتنا سمعنا حشرة صوت يسبجير ، وراينا
يدا ترتفع وتسقط ، فرفعنا ما على السطح من جثث . . وحملنا
ليو كام كو . . خارجا (العم ليو) . وعلى أمل أن نجد أحياء
آخرين تابعنا البحث ، فوجدنا لان تا . . وبه بعض أنفاس تتردد
فى وهن . . وبطء . . فحملنا الجريحين الى هنا . . وعملنا
على اسعافهما . . بقدر ما توفر لدينا من امكانيات . .

الفصل السابع

كانت أولى خطواتنا بعد ذلك ، البحث في كل مكان عما يمكن الاستفادة منه من ثياب أو مهمات .. أو مخلفات لنا ، تركها اليابانيون خلفهم دون اتلاف أو تدمير .. وقد اكتشفنا أنهم لم يتركوا لنا الكثير ..

و حين كنت أنقب وأبحث في حجرة كوان لو ، وأحاول رفع حشية مخضبة بالدماء ، اصطدمت يدي مصادفة بأحد أركانها وكان شبه متحجر - فمددت يدي داخل الحشية - بعد أن مزقتها - فوجدت صرة من القماش بداخلها عدد من قطع المجوهرات الماسية والذهبية .. فواليت البحث بعناية أكثر فعثرت في حشية أخرى على صندوق صغير من المعدن ، به أوراق مالية من فئات مختلفة تتراوح بين المائة والالف من الدولار أو الجنيه الاسترليني ، كما عثرت في خوان للملابس على درج سري بداخله شيكات مصرفية بمبالغ كبيرة مستحقة السداد على مصارف في سنغافورة وهونج كونج .. فقمنا بحصر هذه الأشياء وسجلنا بيانها وسلمناها الى ونج تى ، ولكنه أصر على أن تسلم الى العم ليو باعتباره أقرب الأحياء من أسرة كوان لو ، فوضعها في مخبئه الأمين مع باقى مقتنياته التى نجت لحسن الحظ من عبث اليابانيين .

وكان علينا بعد ذلك أن نؤمن أنفسنا من مفاجأة العدو لنا في هذا المكان .. وأن نستعد للهرب حين نرى ما يهدد سلامتنا ، دون أن تغفل حالة العم ليو ولان تا ، فأعدنا لكل منهما محفة بعناية وقد حاولنا أن نوفر لهما الراحة قدر الامكان . ولم تغفل أيضا مطالبنا من الزاد والمواد الطبية التى سنحملها معنا .

وفى الصباح التالى ، بدأ نشاطنا يأخذ شكلا ايجابيا أوسع مدى ، فقسمنا أنفسنا الى مجموعات صغيرة - خرجت على التوالي

- تجوب المنطقة لتستطلع نشاط العدو ، وتبحث عما يمكن أن يكون مفيدا لنا . ولما عادت المجموعة الأولى كانت تحمل رشاشا وكمية من الذخيرة وجدها بجوار جثة جندي انجليزى مسجى فى حفرة ١٠ وعادت المجموعة الثانية تحمل بندقيتين وكمية من الذخيرة ١٠٠٠ وجدها فى احدى المزارع المهجورة .

وهكذا استمرت المجموعات فى عملها ثلاثة أيام متوالية ١٠٠ فلم يصادفنا خلالها أى متاعب . وكان من المحتم علينا أن نبقى فى المنجم الى أن يتم شفاء الجريحين ، أو حتى يصبحا فى حالة تسمح لهما بالسير ٠٠ وكانا لحسن الحظ يستردان نشاطهما وحيويتهما بشكل ملحوظ .

وبعد ظهر اليوم الرابع ، أنذرتنا دورية البرج باقتراب احدى السيارات العسكرية فى اتجاه المنجم ، فأسرعنا الى حجرة الماكينات وأحكامنا غلقها علينا ٠٠ ومن شراعة احدى النوافذ المكسورة أخذنا نراقب العربى بحذر وسكون ، وكانت صغيرة من طراز عربات القادة التى يعلوها علم صغير ، وقد وقفت أمام باب منزل كوان لو القريب من مخبئنا ، ونزل السائق الذى كان يرتدى حذاء طويلا ويتدلى من وسطه سيف يحاول أن يرفعه عن الأرض - بيده اليسرى . ثم فتح الباب الخلفى للعربة ونزل منه شخصان يرتديان مثل زى السائق ، وهما يحيطان بفتاة فى مقتبل العمر ، ويدفعانها أمامهما دفعا . كانت يداها موثقتين خلف ظهرها ، وفمها مكمما ، ومع ذلك فقد كانت تقاومهما بكل ما أوتيت من قوة ، وشجاعة ١٠٠ ولكن جهودها كانت تذهب سدى . وحين اختفوا بها داخل المنزل ٠٠ التقت نظراتى مع نظرات ونجتنى ٠٠ والتقت أفكارنا ٠٠ واتحد عزمنا ، ماذا يكون جزاء هؤلاء الكلاب ٠٠؟ الموت ٠٠ !!

فحملت رشاشى ، وتقدمت يتبعنى جانجيتا مسلحا بطبنجة ١٠ ٠٠ وتقدمنا نتلصص صوب المنزل . وكان اليابانيون الثلاثة أشد اهمالا وغفلة مما قدرنا ، وكان تفكيرهم منصرفا الى الفتاة وحدها .

فلم يؤمنوا أنفسهم ، ولم يغلقوا بابا أو نافذة .. بل كانوا يحاولون
اسكات الفناء وارغامها على الرقاد دون مقاومة . وفجأة صحت
فيهم أمرهم بالاستسلام بلا مقاومة ، فاستداروا مذهولين ، وكان
مظهرى وسلاحى فى يدي .. يوضح لهم بجلاء أن الأمر بعيد كل
البعد عن اللهو والعبث .. فاستجابوا لأمرى ونظرة الرعب تملأ
عيونهم . ثم أمرتهم بالاستدارة نحو الحائط ، ثم تقدم ونجتنى -
وكان قد بعننا - فدخل الحجرة ودفعهم نحو الحائط ، ودعا
جانجيتا ليقيد وثاقهم .. ثم التقط حزاما صوفيا وربطه حول
فوهة سلاحه - ليساعد على كتم الصوت عند اطلاق الرصاص
عليهم ، فى أسفل الأذن ، وفى ثوان كان قد أجهز على الثلاثة ..

تم كل هذا فى دقائق قليلة .. اندفعنا بعدها نحو الفتاة نفاك
وثاقها ، ثم عدنا بها الى مخبئنا لنتدارس أمرنا ، ونقرر بسرعة
ما سنفعله ، قبل أن يفد اليها باقى الجنود ، بحثا عن ضباطهم ..

كانت الفتاة - رغم ما كان يبدو على محياتها من مظاهر الألم
والخوف - على جانب من الجمال جذبنى اليها . وكانت ترتدى
ثوبا أعطينها اياه بدلا من ثوبها الذى تمزق ، وكان محكما
على جسدها بعض الشيء فأبرز أنوثتها ، وزاد جمالها ، وهى تجلس
بيننا ، وبجيب على سؤال وجهه لها ونجتنى ، حيث قال :

- هل توضحين لنا ، كيف وقعت بين أيديهم ، ومن أين أتيت،
ومن هو والدك ، وما مصيره .. ومصير أسرتك ؟ ..

كنت أرى أن توجيه مثل هذه الأسئلة أمر سابق لأوانه - وأنه
كان من الواجب ان نوفر لها الاطمئنان والراحة أولا .. قبل ان
نرهقها بالأسئلة ، ولكننا كنا فى عجلة من أمرنا .. وكان من المحتمل
أن نتصرف بسرعة .. تجنبنا لمزيد من المتاعب التى قد تحمل بنا .
واستجمعت الفتاة شجاعتهما ، وأفادت من اضطرابها وبدأت حديثها
بصوت هادى . قائلة :

- والدي ماتاك .. جواهرى يقيم فى كامبار .. وقد هاجرت مع أسرتى من أسبوعين الى مزرعة يملكها والدى تبعد عن منجم سى تك كونجس بحوالى نصف ميل ، وهو ملك لوالدى أيضا . وكان قد أعد والدى مخبأ من الخرسانة المسلحة - أسفل إحدى حجرات المنزل بالمزرعة . ومنذ أيام - حين سمعنا طلقات الرصاص تدوى حولنا - لجأنا جميعا الى هذا المخبأ ، وبقينا فيه حوالى ثلاثة أيام .. كنا نسمع خلالها أصوات اقدام الجنود وهى تعيث بالمنزل فسادا - حين كانوا يترددون فى مجموعات . ثم ساد المنزل هدوء شامل .. واستمر الهدوء طويلا .. فرأى والدى أننا فى موقف يسمح لنا بالخروج .. والحياة فوق سطح الأرض ، فخرجنا - وكان ذلك منذ يومين - وعند شروق شمس هذا اليوم ، أحاط الجنود بنا فجأة .. دون أن نتمكن من الهرب . كانوا كثيرين .. وقد أرغمونا جميعا على الركوع أرضا .. ودار حديث قصير بين الضباط الثلاثة .. ثم تقدموا نحوى ورفعونى قسرا . صرخت والدى تطلب الرحمة ، فدفعها أحد الجنود بقدمه ، وألقاها أرضا .. وحين قام والدى يبدى اعتراضه .. دفعوه بمؤخرة البندقية فى رأسه ، وحملونى بعد ذلك الى العربة وركبها الضباط الثلاثة .. وأحضرونى الى هنا .. والباقى تعرفونه ..

وقبل أن نمطرها بأسلثتنا ، اندفع أحد الحراس نحونا ينبئنا بأن قوة يابانية تتجمع على بعد ميل منا ، فاتجه تفكيرنا الى أنهم ينتظرون عودة ضباطهم الثلاثة .. فاستقر رأينا على مغادرة المنجم فورا .

وقد أبرز ونج تى صفات القائد المحنك وهو يلقي تعليماته بسرعة .. وهدوء .. وثبات . فقام كل منا بما كلف به .. وحملنا جرحانا ، ومثوئتنا ، ومهماتنا .. وفى أقل من عشر دقائق كنا نسلك طريقنا غربا .. فى اتجاه النهر .

لم يهمل عامل الأمن فى تقدمنا .. وصرفنا بعض وقتنا وجهدنا

.. ونحن نتحسس طريقنا بحذر وعناية ، وكانت الفتاة تسير
الى جوارى مرفوعة الرأس ، قوية البنيان .. سألتها اسمها
.. فأجابت :

— سوت وإن .. وما اسمك أنت ؟ .

— ليو فونج

ودار الحديث بيننا .. وكان بداية الألفة التي شملتنا ..

كانت الشمس قد أخذت فى المغيب حين وصلنا الى إحدى
المناطق الجبلية التى تشرف على ما حولها من أراض زراعية خضراء .
وتقدمت جماعة منا تبحث عن مأوى صالح .. فعثرت على كهف
قريب فى باطن الجبل ، تقدم ونجتنى ومرافقوه الى فتحته ودخلوا
يستطلعون على ضوء مشعل كهربى ، ولما عاد ونجتنى ، أوضح
صلاحية الكهف لنقيم فيه الليلة ، فوضعنا أمتعتنا ، ودبرنا أمر
إقامتنا ، ولم نعمل الحراسة طول الوقت . وحين كنا نستعد لتناول
وجبة العشاء قدم ونجتنى الفتاة للمجموعة وهو يقول :

— اننى اعتبر سوت وإن .. كابنتى .. من الآن .. وهى حرة
قيما تفعل دون ازعاج من أحد ، وأريد أن ترى بنفسها أنها بين
رجال شجعان شرفاء .

وبعد العشاء جلسنا نسامر ، وجلست سوت وإن الى
جوارى ، وحين أبدت لها دهشتى من قوة تحملها للمشاق ، أجابت
بأنها نشأت رياضية وتمارس الكثير من الألعاب ، وتحافظ على
لقتها وصحتها . ثم بدأت تحدثنى عن نفسها ، وهى تشير الى
ما أصابها اليوم .. وفجأة استدارت نحوى تشكر لى ما فعلت من
إجلائها ، فأجبتها بأننى لم أفعل ما يستحق الشكر وإن الفضل
لنوجتنى وجانجيتا . فابتسمت وهى تقول انها تدين لنا جميعا
بالكثير .

وقطع حديثنا دعابة أطلقها وى كيوى ، وهو يصور لنا بها
- من وحى خياله - كيف وجد الجنود ضباطهم الثلاثة مخضبين
بدمائهم ! . وتحول حديثنا جميعا نحو هذا الموضوع ونحن نتساءل
فيما بيننا عما اذا كنا قد تركنا خلفنا ما قد يرشدهم الينا . والى
شخصياتنا ؟ . الأمر الذى أقلقنا وأقضى مضاجعنا ، وبعد لحظات
صاح ونهج تى قائلا :

- اذا تحقق لنا خلو هذه المنطقة من الاعداء ، فمن الأسلم لنا
أن نبقى فى هذا الكهف بضعة أيام أخرى . وقبل أن نغادر الكهف
يجب أن نتأكد من نوايا العدو نحونا ، بعد أن صرعنا ضباطهم ، وأن
نستعد لنقاومهم قدر جهدنا . يجب أن ننظم مقاومتنا . وأن نعمل
على تعطيلهم وازعاجهم ، وحين نشعر أننا قد انتقمنا لشهداءنا
الأبرار . وأن أرواحهم قد استراحت راضية . فكل منكم أن
يختار الحياة التى يريد لها . وأن يذهب أينما شاء ، ولكن . وقبل
كل شيء . أدعوكم باسم هؤلاء الشهداء الأعزاء ألا يخون أى فرد
منا باقى الجماعة . فلا يفشى سرها ، ولا يرشد عن أعضائها مهما
كانت قوة الاغراء ، ومهما تحمل من ألم ، ومهما طال العذاب ! .

فأيد العم ليو هذا الراى وهو يقول :

- لا يوجد على وجه الأرض ما هو أبشع من خيانة الصديق
لصديقه ، وعلبنا من اليوم أن نكون حريصين فى كل كلمة نقولها ،
أو حركة نقوم بها . فقد يكون فيها ما يكشف أمر علاقتنا بمصرع
هؤلاء الضباط .

ومضت ساعات الليل فى هدوء ، وحين كنا نتناول طعام
الافطار فى الصباح ، أقبل أحد الحراس مهرولا وهو يقول انه
شاهد حركة بين الأعشاب على بعد حوالى مائة ياردة من موقع
حراسته ، ويعتقد أن بعض الأشخاص يختفون فيها ويراقبون الكهف

ومدخله . فاندفعنا للعمل في الحال . واتخذنا مواقع مستورة
تكشف لنا ما حول الكهف وبدأنا نراقب أماننا ، مركزين اهتمامنا
حول منطقة الأعشاب هذه . وبقيت آذاننا وعيوننا متيقظة تسمع
وتراقب ! .

وفجأة لمحت وجهها ملتحيا يبدو من خلال فتحة ضيقة في
العشب القائم أمامي . . ثم يختفي بسرعة ، وبعد لحظات قليلة بدا
وجهان آخران ، ولفت نظري أن هذه الوجوه أوربية . وليست
صفراء يابانية ، وأخذت أفكر هل يمكن أن يكونوا جنودا بريطانيين !
وحين قفزوا يعبرون ثغرة بين الأعشاب ، ميزت زيهم وسلاحهم ،
وتأكدت لى جنسيتهم البريطانية . وبدون أن أستشير ونجتي أوباقى
الرفاق ، وضعت سلاحى أرضا ، واتجهت نحو الأعشاب متعمدا
أن يرانى هؤلاء الجنود اعزل من أى سلاح ، وحين وصلت الى حافة
العشب صحت أناديهم أن ينضموا إلينا ، وأن يتناولوا افطارهم
معنا ، ولم تمض لحظات حتى كانوا - ثلاثتهم - يتجهون معى
نحو الكهف . حيث تناولوا معنا وجبة الصباح .

وبعد أن أنهى الافطار بدا قائدهم الحديث موضحا أنه ملازم
استرالى الجنسية اسمه ياتس ، والثانى جندى استرالى أيضا
اسمه كوبت والثالث عريف اسكتلندى اسمه ساندى .

سألنى ياتس عن الفتاة ومن تكون ، فأجبته الى ما طلب بعد
أن لاحظت أعجابهم بها وميلهم اليها . وسألنى كوبت عن معنى اسمها
فقلت « السحاب الأبيض » فقال ياتس : بل سأطلق عليها اسم
« سوزى » ، ثم حاولوا أن يتبادلوا معها الحديث فلم تستطع فهم
لفتهم . وحين أخبرتها بأن ياتس يطلق عليها اسم سوزى ابتسمت
موافقة وهى تردد هذا الاسم الجميل . ثم أبدت رغبتها فى أن
تطلق عليهم - هى أيضا - أسماء من عندها .

فأشارت الى ياتس وهى تقول « كولو » - (الرجل الطويل) ،
واستدارت الى كوبت وقالت « واسو » - (الرجل الملتحي) . .

ثم نظرت الى ساندى . وتوقفت والابتسامة المشرقة تتسع على وجهها قبل أن تقول « تايبى » - (ذو الأنف الكبير) .



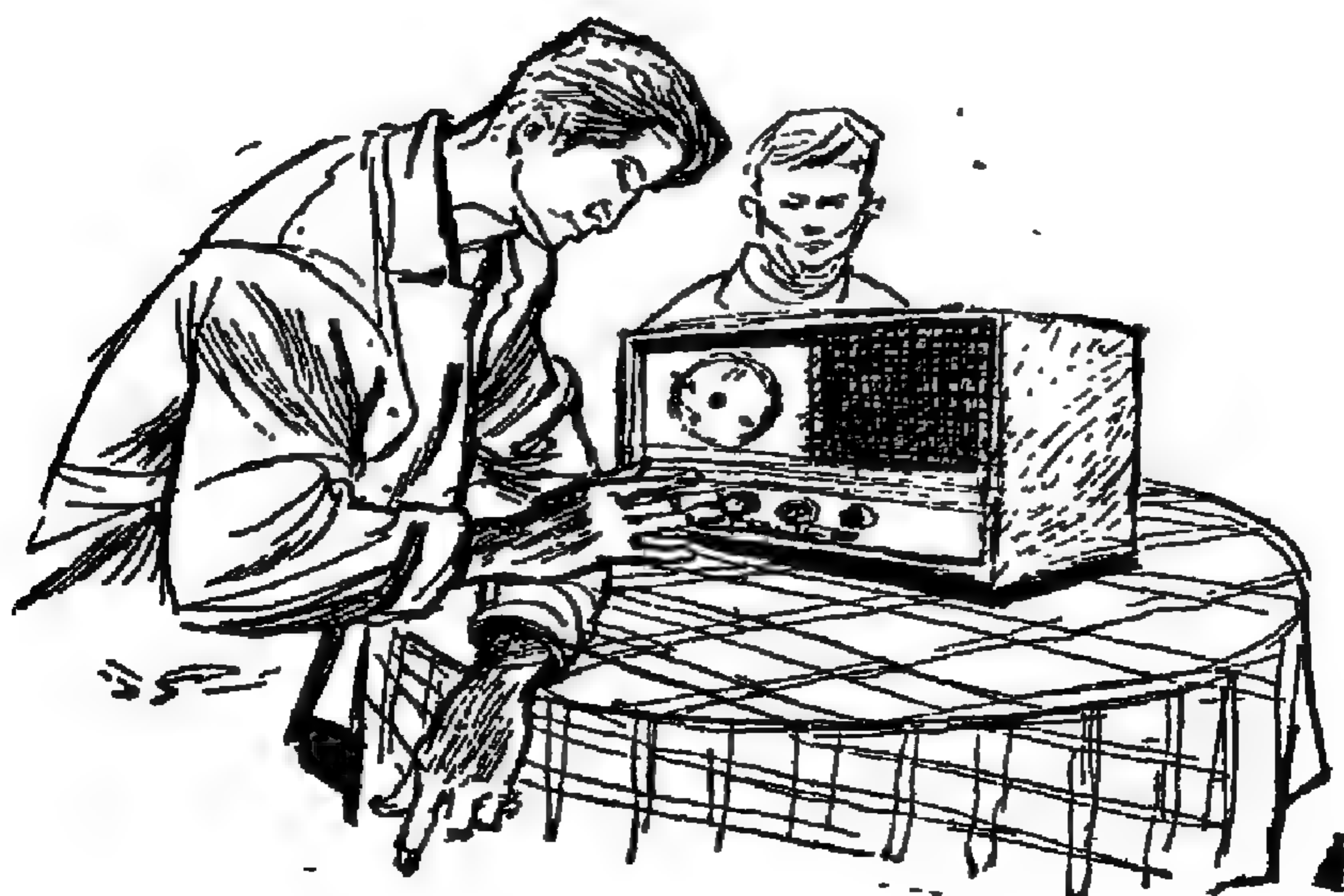
وفى حديث دار بينى وبين ياتس « كولو » بعد ذلك . أريته الطبنجة التى عثرنا عليها فى المنجم ، وكم كانت دهشته حين تبين فيها طبنجته التى فقدوها ، وبعد أن فحصها بدقة ميز رقمها وتأكد منها ، فصاح متعجبا وهو يسألنى أين وجدتها ؟ . فأجيبته عن سؤاله ، وتابعنا الحديث حول موقفنا وتأكد لنا أن أهدافنا واحدة محددة . وأنها قطعاً ليست فى جانب عدونا المشترك . الأصفر ! . ثم تابع حديثه : بأنهم كانوا مشتبكين فى قتال مع دورية يابانية بالقرب من كولا ديبانج ، وتخلصوا من القتال بصعوبة حين سترهم ظلام الليل ففروا هارين ، وعند الفجر وصلوا الى هذه المنطقة ، وأرادوا أن يختفوا خلال ساعات النهار فى أحد هذه الكهوف ففوجئوا بنا وحين رأوا بعضنا يحمل سيوفاً يابانية حاولوا أن يتجنبونا ولكن انظارنا وقعت عليهم .

ثم اجتمعنا على حدة كطلب ونج نى . وبحثنا موقفنا ازاء هؤلاء الجنود الثلاثة ، ولم نجد ما يحول دون انضمامهم الينا ، بل وجدنا فى انضمامهم تدعيماً لنا ، وفى سلاحهم قوة تعصدنا وبداننا ننظم امورنا ونستعد للمستقبل .

الفصل الثامن

ذات صباح عاد وى كيوى وآه فونج يحملان جهازا كبيرا للراديو ، وبطارية لتشغيله ، استطاعا شراءهما من أحد سكان قرية قريبة بضمن زهيد ، وكان القروى يخشى أن يفاجئه الجنود والجهاز بمنزله . وبعد ساعات قليلة استطعنا اعداد سلك « ابريال »

صموده وضعناه فى مكان مناسب لتشغيل الراديو ، مع مراعاة
 الا يلفت الأنظار اليه . وكم اثارتنا اللحظات التى كنا نعدده فيها
 للعمل قبل أن نستمع الى صوت المذيع وهو يصل اليه منه . وحين
 استمعنا للمرة الأولى - بعد أسابيع - الى محطة اذاعة سنغافورة
 ورغم ان الارسلان كله كان مركزا على نشرات اخبارية ، فان هذه
 النشرات هى التى وضعتنا فى مجال الادراك بالنسبة لما يحيط
 بنا من احداث ، وما يجرى حولنا من صراع . وكنا قبل ذلك
 لا نعلم الا القليل عن الموقف الحربى وتطورات الهجوم اليابانى .
 ولا نعرف ان قواتهم قد وصلت يوم ١٠ فبراير الى مشارف
 سنغافورة . حيث تركت زوجتى وطفلى ، وان المدينة تتعرض فى
 هذا الموقف لهجوم جوى شديد . ومن نشرات يوم ١٢ فبراير علمنا
 أنهم قد استولوا على مشارف المدينة ، وأنهم يصلون باقى احيائها
 بنيران مدفعيتهم ويدمرون كل ما فيها تدميرا ، وان المدينة تندلع
 فيها النيران فى كل جزء منها ، وان من بقى من سكانها حيا لا يجد
 مأوى ولا طعاما . بل ولا مفر من المصير الرهيب الذى يواجهه
 اقيها .



وفى السادس عشر من فبراير ، أعلن راديو طوكيو أن قوات
امبراطور الشمس المشرقة قد أتمت تحرير الملايو من أعداء شعبها
الأمين ، وأن هذا الشعب قد أصبح الآن فى رعاية جنود جلالة
الامبراطور ، ليبدأ عهدا جديدا مشرقا من تاريخ بلاده المجيد .

وفى هذه النشرة أيضا أطلق المذيع اسم « مارايى » على
الملايو ، واسم « سايونان » على سنغافورة ، وحذر من استخدام
الاسمين القديمين الذين يشيران الى عهد الاستعمار البغيض ! .

وكان هذا الجهاز وسيلتنا الوحيدة للامام بالموقف فى شمال
أفريقيا والشرق الأوسط . . وكنا نستمع الى محطات كثيرة مختلفة،
الاتجاهات والأهداف ، وبمقارنة ما تقدمه لنا كل هذه المصادر
نستطيع أن نتبين الخبر الصحيح من الكاذب . .

وحين كثر الحديث عن سنغافورة . بدأت أشعر بحنين طاغ
يدفعنى الى العودة اليها . . فهناك زوجتى وطفلى . وهناك قومي
وعشيرتى . . وقد أستطيع هناك أن أؤدى واجبى الوطنى بصورة
أوسع . وأقوى - مما يتيسر لى هنا الآن . .

لقد تركت لى لان . . على وعد بالعودة بعد أيام قليلة . . وقد
طالت هذه الأيام وتجاوزت الستين - حتى الآن - وكانت كلها
متسمة بالقسوة . . والعنف . كنت أشاهد ما يفعله الجنود
بالأطفال والنساء . فيتجه تفكيرى وذهنى . نحو زوجتى وطفلى .
وتهما وحيدان بين قطع من الدئاب الضارية .

و ذات مساء كنت أرقد أسفل شجرة مورقة الأغصان استعيد
ذكرياتى وإيامى الحلوة فى سنغافورة مع لى لان ، وكانت هذه
الذكريات قد استفرقت كل حواسى فلم أشعر بما يدور حولى ،
وفجأة تنبهت الى وجود سوزى راقدة الى جوارى ، فتملكنى
القلق والخوف . فهذه هى المرة الأولى التى نخلو فيها معا ، فى جو

شاعري جميل - قد يدفعنا الى الخطيئة - قنهرت مسرعا وات
اقول :

- منذ متى وانت ترقدن هكذا ؟

- دقائق قليلة .. هل فى هذا ما يؤلك .. أو يؤذك ..
لقد كنت مستغرقا فى أفكارك .. ففضلت عدم ازعاجك ..

- يجب الا تفعلى هذا مرة ثانية .. ماذا يظن بنا الآخرون ؟

- ماذا يظنون ؟ وما لخطأ فيما فعلت ! ألم يقل ونج تى اننى
حرة فيما أفعل ؟

- ألا تعلمين يا سوزى اننى متزوج .. واننى أب لطفل ..
وأن زوجتى وطفلى ينتظران عودتى اليهما فى سنغافورة ..

- نعم أعرف .. فقد أخبرنى العم ليو .. اننى أرثى لك ..
ولزوجتك ..

- سوزى .. نحن نعيش فى ظروف غير عادية ، وانت الفتاة
الوحيدة هنا .. بين ثمانية عشر رجلا ، وأى خطأ منا قد يودى بنا
جميعا . أرجو أن تلاحظى هذا .. وأن تتروى كثيرا قبل أن تقدمى
على أى عمل . وأخيرا .. أرجو أن تعودى ثانية الى مرقدك .

فقامت وذهبت الى الكهف .. دون أن تعلق على حديثى بكلمة
واحدة .. ترى هل أسأت اليها ؟ وهل جرحت احساسها الرقيق
المرهف ! هل أصبحت تكرهنى لهذا الذى فعلته معها ! . وهى التى
كانت دائما تحرص على أن يحترمها الجميع ، والا يتجاوزوا فى
حديثهم معها .. وعلاقتهم بها .. الحدود اللائقة . واستغرقت
فى النوم دون أن أشعر .. وحين استيقظت قبل الفجر بقليل ..
وجدت فوقى غطاء من الصوف ، علمت فيما بعد أن سوزى هى التى
وضعتة ، فارتاحت نفسى وتأكدت أنها لا تحمل فى نفسها شيئا
يؤذى .. وأنها قد عفت عن أسأتى اليها ..

الفصل التاسع

لقد حملنى واجب البر بوالدتى على الحضور هنا ، فى منطقة القتال هذه ، التى يدور فيها الصراع عنيفا ، والآن فان واجبى نحو زوجتى وطفلى يحتم على أن أعود اليهما فورا . ولذا فقد استقر رأيى على السفر الى سنغافورة خلال الأيام القليلة القادمة ، ولن يقف فى طريقى أى حائل . وحين أعلنت عزمى هذا - بين زملائى - ثار الكثير من النقاش والجدل ، ورأى العم ليو أن يجمعنا جميعا لتبادل الرأى - خاصة حين تبين أننى لم أكن الوحيد الذى كانت له خطته الخاصة .

وحين اجتمعنا .. وقف العم ليو ليشرح الموقف وهو يقول :

- اننى أستمع كل ليلة الى صوت زوجتى وأبنائى .. يطلبون منى الانسراع فى الانتقام لدمائهم التى سفكت غدرا وغيلة .. وقد وهبنا جميعا أرواحنا لنحقق هذه الأمنية ، التى لن ترتاح نفوسنا إلا بعد أن نحققها ، وكيفا يتسنى لنا أن نحققها بنجاح .. يجب أن ننظم أنفسنا .. وأن نضع خططنا .. تماما كالمهندس الذى يضع تصميم المنزل قبل أن يشرع فى بنائه ..

والتخطيط وحده .. فى مثل ظروفنا هذه .. ليس كل شئ بالنسبة لنا .. فانا نحتاج أيضا .. الى الرجال .. عمد التنفيذ .. الى المال والمواد .. وسيلتنا لتحقيق الكثير .. وبقاؤنا هنا .. كما فعلنا حتى اليوم - لن يحقق لنا أى نصر على اليابانيين . فالقتال ضدهم يأخذ أكثر من صورة .. وينفذ بأكثر من طريقة ، فأمامنا مثلا .. حرب العصابات والقتال فى الغابات - كما فعل أخوتنا فى الصين ، وأعمال النسف والتدمير كقطع خطوط المواصلات الحديدية والسلكية بنفسها وتدميرها ، وكذا تدمير المصانع والموانئ

والمنشآت الحيوية وغير ذلك ، وأمامنا أيضا .. وسائل الاعلام المختلفة لنشر الأنباء الصحيحة والدعاية المضادة لنشاطهم وأعمالهم ، وأمامنا غدا ذلك الكثير .. والكثير جدا .. يمكننا عمله ، مما يقلق مضاجعهم ، ويؤثر تأثيرا كبيرا على دورة القتال التي تسير حتى اليوم في صالحهم . وأقل ما نتوقعه منهم .. ليواجهوا أعمالنا هذه . أنهم سيحتجزون جزءا كبيرا من قواتهم . لتواجه نشاطنا ، وإذا أحسننا تنظيم قواتنا .. واجدنا تدريبها .. فان ضرباتنا المتوالية .. ستذهلهم .. وتشل حركتهم .

يجب أن يبقى بعضنا هنا .. يجمع الأنباء من مصادر الاذاعة المختلفة ، ويترجمها الى لغتنا ، وينقلها اليها في المدينة وسنتولى نشرها في القرى والمدن .. وفي كل مكان . ولا شك أن هناك المئات .. بل الآلاف .. الذين تغلى نفوسهم حقدا .. والذين يتوقون الى الانتقام ، وسنتصل بهم .. وسندعوهم للانضمام اليها .. والعمل معنا ..

لن نستطيع قتال هؤلاء الكلاب .. وجهها لوجه .. فنحن لا نملك القدرة على مثل هذه الحرب ، وعلى ذلك فسنقاتلهم بطريقتنا الخاصة .. وإذا لم نستطع قتالهم فوق سطح الأرض .. فيجب أن نقاتلهم من تحت سطح الأرض .. وبهذا نرضى ارواح شهدائنا الأبرار .

سأعود يا اخواني الى ابيواه ، وسأنظم مكانا صالحا ليكون مركزا لرئاستنا ، ندير منه أعمالنا .. وهناك سنحدد تفاصيل ما أوجزت لكم الآن ..

وحين انتهى العم ليو من حديثه وقف وتبجح وقال :

- اننى أؤيد ليوكام فى كل ما قال .. وبقوتنا الصغيرة التى نبدأ بها الآن .. سنبنى قواتنا الكبيرة التى سنشكلها للمقاومة الشعبية ، التى ستعمل فى كل مكان . لتوجه الضربات القاتلة الى هؤلاء الأعداء القساة القلوب .

وتوالت بعده أحداث !

وى كيوى ، وسك كى ، وكوكاما ، وهاليسمات ، مؤيدى
شارحين ما يمكن أن يؤدوه من خدمات لاعداد قوة المقاومة الشعبية
.. وللعمل فيها ، كما أن سوزى . والجنود البريطانيين الثلاثة .
أدلوأ بدلوههم فى الأمر . فأشارت سوزى الى أنها تملك ثروة كبيرة
آلت اليها . وانها ستضعها تحت تصرف القيادة وانها هى نفسها
ستكون رهن اشارتنا فى أى عمل يمكنها أن تؤديه . وأوضح
« كولو ، ووأسو ، وتايى » .. ما يمكنهم أن يؤدوه نحو تدريب
المتطوعين ، لخبرتهم المكتسبة فى تكتيكات قتال حرب العصابات
وأعمال النسف والتدمير وفى استخدام الأسلحة المختلفة وأعمال
الإشارة والاسعاف الأولى وغير ذلك مما يتطلبه القتال الناجح .



وفى الصباح الباكر من اليوم الرابع عشر من شهر مارس
غادرت والعم ليو وسوزى وهاليسمات .. الكهف متجهين نحو
الطريق الرئيسى الذى يربط بين باتوجاه وتانجونج ، وكانت
الظروف أمامنا متيسرة فركبنا أحد اللوريات التى تعمل على هذا
الطريق .. واتجه بنا نحو ايبواه . كان رجال الشرطة مرابطين
على مشارف المدن ، يقومون بتفتيش دقيق للقادمين والعائدين
وكذت أفقد أعصابى - مرات عديدة - وأنا أشاهد أسلوبيهم
فى تفتيش النساء .. ولولا وجود العم ليو الى جوارى .. فليس
يعلم إلا الله . ماذا كان يمكن أن يحدث وكان من رأى العم ليو ..
أن نتظاهر أمامهم بالغباء . فهو أسلم عاقبة من الاندفاع .

وبقىنا فى ايبواه مع العم ليو بضعة أيام نعاونته فى
خطوته الأولى التى اعتزمها ، غادرت ايبواه وبرفقتى سوزى
متجهين الى كامبار ، حيث تقيم إحدى عماتها ، وكانت سوزى ترجو
أن تجد لديها أنباء عن والديها ! ولما استقبلتنا العمه - وكانت

أقرتدى مع باقى أفراد الأسرة ثياب الحداد ، صاحت وقد أذهلتها المفاجأة المقرونة بالفرحة ، وهى ترى ابنة أخيها ماثلة أمامها - وهى التى كانت تعتبرها فى عداد الأموات - صاحت تقول :

- لقد طلبت من والدك ألا يفادرا كامبار .. حيث كنت أراها أكثر سلامة لهما ولأطفالهما من أى مكان آخر .. ولكنهما لم يصدقانى .. كان والدك - كعادته دائما - صلبا - يعتزا برأيه ، وها قد ذهبوا جميعا للقاء ربهم ، حتى شقيقك الأكبر وزوجته وأطفاله ..

أثارنى هذا الموقف - أنا الغريب عنهم ، الواقف بينهم ، فى هذا الجو المشحون بالآلم .. والأسى ، فوقفت صامتا .. دون حراك .. حتى عادت العمة الى حديثها وتابعتة قائلة :

- لقد ذهب عمك الى ايبواه ، ونحن ننتظر عودته بعسا يومين ، وأخشى أن يغشى عليه حين يراك ، كنا جميعا قد فقدنا الأمل فى عودتك ، ولم يخالجننا أى شك فى وفاتك . ماذا حدث لك يا بنيتى ، حدثينى .. فأننى على شوق بالغ لسماعك .. كيف أتقذت .. وأين كنت كل هذا الوقت ؟ .. لكم لفحتك الشمس ! وكستك لونا برونزيا جميلا ، حتى لتبدين فيه كفتيات الغابات !

فبادرتها سوزى قائلة انها ستقص عليها قصتها كاملة .. وأشارت الى وهى تقول :

أرجو أولا ان أقدم لك صاحب الفضل فى وجودى على قيد الحياة حتى الآن .. الأخ الكريم .. ليو فونج ..

وبهذا الأسلوب قدر لى أن أدخل حياة أسرة فائ كوى ..

وبوصول سوزى الى منزل عمتها ، واطمئنانى على سلامتها

ومصيرها ، كان على أن أتابع طريقى الى سنغافورة • فسادرت
المنزل •• وقمت بجولة فى المدينة أتحرى الموقف ، وأستطلع الحالة
•• واتجهت الى محطة السكة الحديدية •• وكانت تحت اشراف
وادارة عناصر يابانية تشغل الوظائف الرئيسية فيها •• يعاونهم
بعض الافراد من أبناء الهند الصينية - منهم مساعد ناظر المحطة •
وكان من حسن طالعى أن أجده هناك ، وأن أنجح فى تبادل الحديث
معه - بعد أن كسبت ثقته وأغريته ببعض الهدايا المناسبة - وفى
خلال هذا الحديث قال :

- اذن فأنت تريد التوجه الى سايونان يا صديقى •• اياك أن
تقول سنغافورة بعد الآن •• حتى لا يصيبك ما أصابنى حين
انزلق لسانى أمس •• أمام ناظر المحطة ، فكان جزائى ركلة شديدة
ألقتنى خارج المكتب •• عليك بالحضور الى المحطة صباح الغد
اقبل الثامنة ، وأرجو الا تسأل عن موعد القيام •• او الوصول ،
فنحن الآن تحت رحمتهم •• والقطارات تسير طبقا لأهـوائهم •
هل تتصور أن لسائق القطار ، وهو منهم ، أن يوقفه فى أى مكان
ويترك كل من فيه ساعات •• وساعات ، ليطهى وجبة يريدھا ، أو
ليقابل صديقا أو ليغازل امرأة • السفر الآن بالقطار - يا صديقى -
لم يعد متعة ، ونصيحتى لك ولغيرك •• الا تقدم عليه ، الا وانت
مضطـر الى ركوب هذا الصعب من الأمور •
كم كان هذا الرجل صادقا •• فى كل ما قال !

بعد أن تناولنا وجبة العشاء فى منزل العمسة فای ، دعتنى
سوزى الى جولة صغيرة فى الحديقة ، جلسنا بعدها على احد
المقاعد ، يكسوننا ضوء القمر الفضى وينعش ما فىنا من مشاعر ••
كنت أشعر برغبتها فى أن تختلى بى قبل سفرى الموشك ، فلم
أبخل عليها بما تريد ••• ودار بيننا حديث بدأتہ سـوزى
قائلة :

- ليو فونج .. هل تعدنى بأن تكتب الى بمجرد وصولك الى
سنغافورة ؟ .

- نعم أعذك .. يا سوزى ، فقط فى حالة توفر الخدمة
البريدية بين البلدين .

- كم تستغرق رحلتك الى هناك ؟ .

- لا أدرى حقا ، حتى مساعد ناظر المحطة لا يستطيع تقدير
هذا الوقت .

وهنا حولت سوزى حديثها فجأة ، وبدأت تسألنى عن ليو
لان ، كانت لبقة بارعة فى أسلوب حديثها ، وفى خلال ساعة
واحدة ، استطاعت أن تعرف منى كل ما أرادت أن تعرفه عن
زوجتى . وقطع حديثها وصول العمه فاي وهى ترجو أن تتابع
سوزى قصتها ، وأن تخبرها بكل تفاصيلها .

وفى الصباح الباكر كنت أغادر المنزل - خفية - حتى لا ترانى
سوزى .. تجنبنا للحظات الوداع ، وكان من حسن الحظ أن
وصلت الى المحطة فى موعد مناسب لقيام القطار . وقبل ظهر اليوم
التاسع عشر من مارس ، كان القطار قد وصل الى سنغافورة ، وبعد
رحلة أبسط ما يقال عنها .. انها شاقة مضنية ، فقد استغرقت
أكثر من خمسين ساعة .. استطعت خلالها أن المس مدى الدمار
الذى حل بالقرى والمدن والمنشآت التى مر بها القطار .

وكانت النظرة الأولى تشير الى الحصار الشديد الذى يشمل
محطة السكة الحديدية فى سنغافورة ، والاجراءات الاستثنائية
المتخذة فيها ، وحين غادرنا القطار ، صدر الأمر لنا بالتجمع فى
صفوف طويلة .. وتعرضنا للعديد من الاستجوابات ، والتحريات
.. ولم تسلم حقيبة أو أى متاع من التفتيش الدقيق ، حتى الرجال
والسيدات والأطفال كان يجرى تفتيشهم تفتيشا دقيقا .. وكان
الأسلوب المتبع منهم .. لا يختلف عما عرّفناه عنهم .. بين ركل

.. ولطم .. واهانات من كل نوع ، واستفرقت هذه الاجراءات
معى ساعات طويلة .. خرجت بعدها خارج نطاق هذا الحصار ،
وشعرت للمرة الاولى بالحياة تدب فى اوصالى ..

وبدأت جولتى فى المدينة ، وكان ما شاهدته فى المحطة من
اجراءات ، لا يقل عما يدور فى مناطق عديدة من المدينة - فى الميناء ،
والمنشآت الهامة ، وملتقى الطرق الرئيسية .. وفى كل مكان
تقريبا . وحتى أتجنب تكرار هذه الاجراءات ، كنت أسلك طرقا
ملتوية طويلة .. ولكنى كنت أقف عاجزا أمام الجسور ، فلا مفر
من عبورها . وكنت أحتقر نفسى وأنا أرى أبناء وطنى يسجدون
تحية لمجنود العدو الغاصب .

كانت المدينة التى عشت فيها سنوات طويلة من عمى -
تبدو لى الآن غريبة عنى . وكانت كل خطوة أخطوها تذكرنى بأننا
الآن تحت امرة سيد جديد مستبد .. وكانت نفسى تردد دائما ..
اننا يجب الا نكون عبيده .. الأذلاء ..

الفصل العاشر

وقبل الغروب وصلت الى مسكنى فى حى كاتونج .. فوجدته
مغلقا .. وحين كنت أدفع الباب أحاول فتحه سمعت صوتا حادا
ينادى قائلا :

- ماذا تريد أيها الرجل ؟ ..

فلما استدرت وجدت جارى رودورو ، وحين تبين أنى صديقه
القديم الغائب .. أخذته الدهشة والفرحة لهذا اللقاء المفاجيء ،
وبعد أن تبادلنا تحية سريعة قال :

ـ لقد أغلقت باب المنزل .. وهذا أقل ما يجب على نحوكم
فى غيابكم ، ويؤسفنى اننى لم أستطع أن أحافظ على محتوياته
كاملة ، فقد مرت بنا أيام عصيبة ..

وكانت النظرة السريعة الى المنزل توضح ما عناء صديقى
فقد كان المنزل مزارا للكثيرين .. الذين نهبوا كل ثمين وغال كان
فيه . ولكن حالة المنزل هذه ، أو المحافظة عليه ، لم تكن هى
ما أريده من الرجل .. فقد كنت أريد منه المعلومات التى توصلنى
الى زوجتى وطفلى ، وقد أجابنى قائلا :

ـ ما أعرفه عنهما قليل .. فحين هجرت أنا هذه المنطقة يوم
٢ فبراير كانت زوجتك تقيم بالمنزل ، وحين عدت يوم ٢٠ من
نفس الشهر ، كان المنزل كما تراه الآن .. ولم تكن زوجتك فيه .
كنت أدعو الله دائما أن يرعاك أنت وزوجتك وطفلك .. وكنت
على يقين من عودتكم ثانية .. وها أنت قد عدت .

ـ هل عاد جيراننا الآخرون ؟

ـ البعض فقط .. وهم لا يعلنون شيئا عن زوجتك .
فشكرته ، واندفعت أبحث عن يعرف أخبار لى لان .. ومن
أحدهم علمت القصة التى رواها لى على الوجه التالى :

ـ قام الجنود اليابانيون بالهجوم على الدور الآمنة صباح يوم
١٧ فبراير ، وأمروا كل سكانها بمغادرتها فورا دون أن يحملوا
معهم أى متاع .. كنا بين مئات الأسرى التى أرغمت على الخروج ،
وساقونا كالأعنام حتى وصلنا الى معسكر الاعتقال فى الأرض
الواقعة خلف المدرسة الانجليزية ، وكان قد سبقنا اليه آلاف
غيرنا . كانت الحالة فى معسكر الاعتقال هذا بالغة السوء ..
لا يقينا شئ من الشمس نهارا .. أو البرد القارس ليلا ، وكان
لتقلبات الجو هذه أثرها السريع فى صحة معظم المعتقلين ، فسقطوا
صرعى المرضى .. والموت ، كنا لا نجد قطرة من الماء للشرب ، وكنا

رغم على التخلص من فضلاتنا حيث نقيم ، فانتشرت الأمراض «
وضعت مقاومتنا لها ، وكان أن حصدت هذه الأمراض أرواحا كثيرة
.. كانوا يحاولون بكل الوسائل الكشف عن العناصر المعادية لهم
للتخلص منها ، وجمع الشباب القوى القادر على العمل لتسخيره من
أجل مجهودهم الحربي ، وكانوا ينتقون الفتيات .. وينقلونهن الى
معسكراتهم .

كان لهذه الأخبار وقع الصاعقة على نفسى ، فقد شلت
تفكيرى وكادت تذهب بعقلى . الا يحتمل أن تكون لى لان بين من
أرغموا على الخروج من منازلهم فى هذا اليوم المشؤم ؟ ألا يجوز
أن تكون مع طفلى .. من ضحاياهم ؟

وانقضت تسعة أيام وانا اناضل بكل ما أوتيت من قوة
وصبر لمعرفة أخبار زوجتى ، فقد فقدت كل أثر للدكتور زيا ..
وكنت قد تركت زوجتى وطفلى فى رعايته قبل يسفرى ، وكانت
أسرته تعتبره مفقودا ، وحاولت أن أتقصي أخبار خادemy فلجات الى
كل مكاتب الترخيم .. دون جدوى . وفجأة التقيت بصديق طفولتى
جيم هو فى أحد الطرق - وحين التقينا ضمنى الى صدره وهوا
يقول :

- يا الهى ! .. أخيرا أجذك يا صديقى العزيز ! .. أين كنت
طوال هذه الفترة العصبية . لقد علمت من لى لان بسفرك لوداع
والدتك ، وكنا ننتظر عودتك دائما .. لم تفقد زوجتك الأمل فى
عودتك أبدا .. ولكنها لم تستطع مقاومة القلق الذى ألم بها حين
تأخرت عودتك .. فسقطت صريعة المرض . كنت أزورها دائما
وكان الدكتور زيا دائما الى جوارها - أؤكد لك أنه كان أنبل
وأشرف من تأتمنه لرعايتها هى وطفلها ..

وتوقف لحظات يعرض على أن أدخن معه سيجارة .. وكنت
فى لهفة على الأخبار .. أكثر من الرغبة فى التسخين ، وكانت
لهفتى واضحة .. جعلته على أن يتابع الحديث بسرعة .. فقال:

وفي حوالى اواخر يناير كان العدو على مشارف سنغافورة .
وكانت غاراتهم الجوية على المدينة تزداد شدة . . . وتطول زمنا .
وكانت السلطات قد اوقفت هجرة المدنيين - ما عدا الاطفال والنساء
وفي الرابع من فبراير كان الموقف قد أصبح سيئا للغاية - بعد
أن أصبحت المدينة فى مدى نيران المدفعية أرضا فضلا عن الطائرات
.. فقرر الدكتور زيا أن يرسل لى لان والطفل الى الهند ، وكانت
له بعض العلاقات الطيبة بالمستولين ساعدته على توفير رحلة
معقولة لهما . . ولكن الاجراءات استغرقت بضعة أيام . كانت لى لان
خلالها تأمل أن تصل أنت الى سنغافورة فى أى لحظة . . . وحين
فقدت الأمل . . رجتنى أن أقول لك . . انها تنتظرك وكنت
قد صرفت لها شيكا بعشرة آلاف دولار ، أخذت نصفها وتركت لك
معى النصف الآخر لأسلمه إليك حين نلتقى .

كان من المقرر أن تبصر سفينة لى لان فى الثامن من الشهر ،
ولكن الميناء كان يغلق كثيرا تحت وطأة الغارات الجوية الشديدة .
وفى اليوم العاشر ركبت لى لان السفينة ، وعلمت من الدكتور زيا
أن السفينة أبحرت بهما . ولا أعلم ماذا حل بهما بعد ذلك .

فحاولت أن أعرف منه اسم السفينة ، أو جنسيتها ، أو أى
بيانات عنها . . ولكنه كان لا يعرف ما يمكن أن يروى ظمئى . .
وبذا فقدت ثانية الحيط الذى كان من الممكن أن يرشدنى اليها .
وبقيت فى حيرتى تنتابنى أفكار قاتلة . . هل وصلا سالمين ؟ . .
هل حلت بالسفينة كارثة . . هل أصابها طوربيد ؟ . . لا أحد يعلم
إلا الله !! . .



كنت فى غدواتى بين المنزل وأنحاء المدينة ، أمر دائما بمنطقة
طويلة ممتدة ينتشر فيها الكثير من المخازن والمستودعات ، محاطة
بسياج قوى من الأسلاك الشائكة يمتد خلفه سور من الصاج
المرتفع يحجب رؤية ما بداخله ، والجنود منتشرون فى أبراج

الحراسة القائمة على أبعاد متقاربة حول السياج ، وقد لفت نظري دخول اللوريات الى المنطقة وهي محملة .. وخروجها وهي فارغة ، الأمر الذى أكد لى بأنها لا بد أن تكون مستودعا للجيش اليابانى ، ولم يطل بى الوقت حتى علمت أنهم يخزنون فيها قنابل متعددة الأحجام ، وذخيرة متنوعة الأشكال ، ووقودا سائلا فى مستودعات كبيرة .

وحين تأكدت لى هذه المعلومات تبادر الى ذهنى فى الحال ما يجب على عمله للانتقام للعملة هو و ابنائها وبقى صهداء المنجم الأبرار . وبالبحث تبين لى أن الطريق أمامى طويل .. وعسير .. ولكنى عزمتم أن أسلكه .



كان واضحا أن دخولى هذا المستودع .. يكاد يكون مستحيلا ، وكان من الأوضح أن نجاحى فى دخول المستودع حاملا ما يلزمى من مواد النسف .. أمر يعتبر من المعجزات ! .. فكان لا بد اذن من أن ألجأ الى الحيلة . فبدأت أراقب عمال المستودع وأدرس حركاتهم .. وسكناتهم ، ماذا يرتدون .. وكيف يتحدثون ؟ .. ما هى طباعهم وأخلاقهم وعاداتهم ! أين يقيمون ؟ .. وأخيرا ما هى الصفات التى يتطلبها سادتهم فيهم .. وكيف يرشحون للعمل .. ومن الذى يرشحهم ، وبالجمل ، كل الدقائق والتفاصيل التى تساعدنى وتزكىنى للعمل فى الداخل .. كانت هذه خطوتى الأولى .. وقد قضيت فيها أياما طويلة ، ثم كان لزاما على أن أكتسب سمرة البشرة التى تقربنى الى هذه المجموعة من العمال ، وأن تزداد قوة عضلاتى لتكون قادرة على هذا العمل .. فكان أن انقطعت أياما أخرى أقوم فيها - بخلف منزلى - بتدريبات رياضية عنيفة ، أعرض خلالها لوهج الشمس الحارق ، فوصلت بذلك الى تحقيق خطوتى الثانية .. وكان على بعد ذلك أن أعيش فى الوسط الذى يعيش فيه هؤلاء العمال ، فانتقلت الى الحى الذى يسكنون فيه ، واستأجرت حجرة بأحد المنازل ، ثم بدأت أتردد على المطاعم

والمشارب التي يترددون عليها ، وبعد أيام قليلة كنت قد اصطفت هاملين . وطدت صلتى بهما ، بعد أن تأكدت اننى - عن طريقهما - سأصل الى من يزكىنى للعمل معهم . وذاك مساء ، ونحن على مائدة الشراب ، علمت منهما ما يجب على أن أفعله . وفى صبيحة اليوم التالى ، كنت أحد ثمانية مرشحين للعمل ، وبعد اختبارات بدنية قاسية ، وتحريات دقيقة ، واستجواب عنيف - استغرق أكثر من أسبوع . . نجح اثنان فقط من الثمانية . . كنت أحدهما . . وبدأت العمل . . وبقدر اهتمامى بكسب رضا رؤسائى . . كان اهتمامى بدراسة المستودع والتعرف على كل أسرارهِ ودخائله . . وفى الأيام الأولى تملكنى يأس قاتل ، فاجراءات الأمن المتخذة فى المستودع . . لا تترك أى ثغرة ولو صغيرة . . أنفذ منها ، ولم يبق أمامى سوى الانتظار . . والمراقبة . .

كان اليابانيون قد كسبوا جولاتهم الأولى ضد الحلفاء بالسرعة الحاطفة التى نفذوا بها خططهم ، وكانوا يعتقدون أن السرعة . . هى سلاحهم الذى سيتابعون به انتصاراتهم . . وعلى هذا كانت السرعة فى العمل هى طابعهم وشعارهم الدائم . . ومن هذا الشعار . . بدأ الطريق ينكشف أمامى .

كنت قد لاحظت وجود أربعة مستودعات كبيرة للبترول فى مواقع متفرقة من المستودع وإلى جوارها آلاف من البراميل الخاصة بالوقود وهى فارغة وإلى جوار هذه المستودعات أيضا العديد من أكوام الذخيرة وكانت الحراسة عليها شديدة ويقظة .

كان العمال مقسمين الى نوبتين ، ولا يسمح لأى عامل بالدخول أو الخروج الا بعد تفتيش دقيق يتسم بالعنف أحيانا كما لا يسمح لأى عامل بالدخول أو الخروج فى غير أوقات تغيير النوبتين وكنت قد حصلت على حاجتى من مواد النسف ولكن كيف السبيل الى دخولها الى هذا المستودع ؟ .

وَذَات صَبَاح - بعد أسبوعين من العمل فى المستودع - كان بعض العمال يصبون الوقود فى صفائح ، وكما أوضحت كانت السرعة عاملاً حاسماً بالنسبة اليهم - لا يضحى بها فى سبيل الحيلولة دون انسكاب بعض الوقود على الأرض أثناء التعبئة . . . بالقرب من أكوام الذخيرة المقدسة على الأرض . اذ من ذا الذى يهتم بهذا الوقود المنسكب ؟ ومن ذا الذى يقدر خطورة هذا العمل . . . اذا كانت قوات حضرة صاحب الجلالة الامبراطور على وشك الاستيلاء على أغنى موارد البترول فى العالم !!

وكان منظر هذا الوقود . . . هو الذى أوحى الى بما أفعل . . . وكانت الفكرة بسيطة ، أبسط ما تكون تنفيذاً . . . وأخطر ما تكون نتيجة . . . كان من المثير حقاً أن جيشاً كالجيش اليابانى . . . بقاته وجنوده وعماله ، وبما هم عليه من كفاءة وقدرة وتنظيم ، يكونون جميعاً بهذا القدر من الغباء بحيث لا يقدرّون خطورة الوقود وميزة سرعة اشتعاله . . . ولكنها الأقدار ! التى تهيب الفرصة اذا أرادت أن تلحق الضربة القاصمة .

كنت على علاقة قوية بأحد الصيادلة ، وكنت أثق فيه ثقة لا حدود لها - وكان متبحراً فى دراسة علوم الكيمياء . وفى جلسة هادئة بعيدة عن أسماع الفضوليين ، بحث له بسرى وبحثت معه الأمر بعناية ، فوعدنى بالبحث عن حل مناسب وطلب منى أن أمهله يومين ، ولما عدت اليه أخبرنى أنه قد توصل الى حل بسيط . . . ولكنه يحتاج الى دراسة أعمق . . . ثم الى تجربته عدة مرات ليتحقق من فاعليته . وطلب منى أن أمهله أسبوعاً آخر .



كان من عادة أهل الملايو أن يستخدموا نوعاً من أغصان الشجر الرفيعة كالسواك ، يحملونه دائماً فى أيديهم ، ويدلكون به أسنانهم وقت فراغهم . . . او بعد تناولهم الطعام .

وقد استغل صديقي الكيماوى هذه الظاهرة التى لن يمنعنى حارس من الدخول بها ، وأعد مادته الحارقة فى شكل مطابق تماما للسواك ، وكان على أن أحمله معى فى دخولى .. على أن أبقيه داخل لفافة مبللة ، تحفظ له الرطوبة اللازمة التى تحول دون اشتعاله ، وأوضح لى أن تعريضه للشمس والهواء يزيل الرطوبة عنه ويعرضه للاشتعال الذاتى قبل مضى ثلاثين دقيقة .

وفى الصباح التالى ، دخلت المستودع .. ومعى سواك فى يدى ، وآخر بين طيات ثيابى ، محاطا بمنديل حرصت على أن أغمره مع السواك فى اناء من الماء قبل أن أحمله ، ليحفظ رطوبته أطول وقت ممكن .. وبدأت عملى وأنا أترقب الفرصة ، كنت مكلفا بنقل الذخيرة من أحد اللوريات ووضعها على الأرض .. وكان الى القرب منى يعمل آخرون فى ملء صفائح الوقود ، وفجأة ولغى ما سبب ظاهرى لى شاهدت عمال الوقود يتركون عملهم هذا ويتجهون الى عمل آخر بعيد ، ويسرعة وضعت أصبعى داخل فمى ليساعدنى على القىء .. وكمرت العملية عدة مرات ، ولفنت حالتى نظراً للمشرف على العمل الذى رأى العرق يتصبب من جبينى .. وهو يعتقد أنه من آثار المرض الذى انتابنى .. فأمرنى بترك العمل فى الحال والجلوس فى الظل للراحة قليلا .. ولكننى وقد كنت أسعى لما هو أكثر من ذلك .. تابعت وضع أصبعى فى مؤخرة فمى .. وتابعت تظاهرى بالقىء ، وحين بدا للمشرف أنها بحالة شديدة .. وخشى عدوى المرض الخطير المنتشر فى هذه الأيام ، أخرج من سترته دفترًا صغيرا ، وحرر بضع كلمات على ورقة سلمها الى وأمرنى بالخروج خارج المستودع . وكانت فرصتى وأنا أخرج .. لأمر على الوقود المنسكب على الأرض .. ولألقى السواك أرضاً وأتركه ليجف .. فيبدأ عمله المدمر .. وأكثر من ذلك .. أن أغادر المستودع .. وأبتعد عن الدمار الذى ينتظره .

وابتعدت بعيدا .. وجلست على مقهى يشرف من بعيد على المستودع .. وجلست أحسب الدقائق .. وأنتظر . وحين مضت

الدقائق الثلاثين .. بدأ القلق ينتابني ، لماذا هذا التأخير .. هل اكتشف الأمر ؟ .. هل فسدت المادة وبطل مفعولها ؟ .. أم كانت كمية الرطوبة أكثر من اللازم ؟ .. دارت بى الدنيا وأنا أتصور الدقائق ساعات ، وحين راجعت حسابى للوقت كان قد مضى سبع وثلاثون دقيقة .. وفجأة دوى صوت انفجار عنيف ، هز أركان المنطقة وتعالت السحب القاتمة .. وتوالت الانفجارات المروعة .. وفى وسط هذا كله سمعت صوتا ينادينى ويحذرنى لأبتعد بعيدا .. وكنت على يقين من أن الصوت كان صوت .. لى لان !!

فغادرت المكان ، واتجهت صوب حجرتى بحى العمال وأخذت كل مقتنيائى ، وألقيتها فى النهر ، وعدت الى منزلى فى كاتونج والى شخصيتى الأولى .. وبعد الحمام الساخن .. وبعد حلالة الذقن .. اندثر كل ما يمكن أن يربطنى بشخصية العامل الذى دمر المستودع !!

الفصل الحادى عشر

بقيت منطقة المستودع مغلقة على الجمهور أكثر من أسبوعين .. وحين فتحت للمرور بعد ذلك - ظهرت لنا بجلاء الآثار التى ترتبت على هذا الانفجار المروع . كانت المنطقة لحسن الحظ ، قد أخلت من جميع سكانها قبل الحادث ، كاجراء أرادته السلطات لتحقيق السرية المطلوبة ، ولمنع تسرب أى أنباء عما يجرى بالداخل ، ولم يبق بالمنطقة سوى عمال المستودع ، ومن شاء حظهم العاثر أن يَمروا بالطرقات القريبة لحظة الانفجار ، أو يكونوا بالمحال المنتشرة حولها ، ولولا ذلك لكانت الحسائر فى الأرواح جسيمة .

وكانت جميع المباني المحيطة بالمستودع - بلا استثناء - ولعمق لا يقل عن ٥٠٠ متر - قد دمرت وتناثرت أجزاؤها ..

ولما حاول أصحابها جمع ما بقى فيها - من أثاث سليم أو متاع صالح - صدم البعض منهم بوجود العديد من القنابل التي لم تنفجر .. كانت قد تناثرت في المنطقة .. وحين سقطت .. بقيت تمثل خطرا جديدا جاثما على الصدور .. فلا يجرؤ الناس على الاقتراب منها .

واستمرت الجهود في المستودع - تجري بهمة ونشاط - طوال أسبوعين آخرين - لرفع الانقاض المتخلفة ، ومحاولة إعادة الحياة اليه مرة ثانية .

ولم تغمض لليابانيين عين طوال هذه الأسابيع ، وهم يحاولون تقصي الحقائق التي تنير لهم الطريق .. للتوصل الى الفاعل الاثيم ، وللتعرف على شخصيته ، وشخصية من أزروه .. فانتشروا في المدينة ، يلتقطون الهمسات ويحللون النظرات ، كان الهمس يدور فعلا بين الناس - اذ كان وسيلتهم الوحيدة للحديث - بعد أن خمدت أصواتهم تحت الضغط والارهاب .. ولكن هل استطاع اليابانيون الوصول الى شيء .. وهل كان هؤلاء السكان يعرفون .. ما يؤدي الى شيء ؟ كل ما كانوا يعرفونه .. هو ما اتصل بعلمهم - من قريب أو بعيد - في شكل ضحايا .. أو خسائر مادية . فمن نجا منهم تحدثت عن المعجزة التي أنقذته من الموت ، وحفظته وأسرته من الدمار .. ومن قتل له ابن أو شقيق أو قريب .. راح يلوم القدر الذي دفع به الى هذا المكان .. وهكذا كان بحث رجال السلطات .. يدور في دوامة .. لا تنتهى .. ولم تنته أبدا .. الى شيء ..

وانتشرت الأنباء تقول ان أكثر من ٢٥٠ يابانيا - معظمهم من الضباط ورجال الشرطة العسكرية وكبار الموظفين ، قد قتلوا في الحادث ، وان كل من اشترك في مقاومة النيران .. أصيب بصورة ما - وان كل من نجا - وشاء حظه أن يكون في المنطقة هند محاصرتها - اعتقل في معسكر كبير أقيم خارج المدينة .

وان رجال المباحث لا يألون جهدا ولا يشركون وسيلة لاستخلاص
الحقائق منهم ..

وبعد أن تيسرت المواصلات البريدية بين سنغافورة وغيرها
من المدن - وان كانت في صورة غير منتظمة - كتبت أولى رسائلي
الى العم ليو .. والى سوزى ، وأخبرتتهما أن لى لان قد غادرت
سنغافورة قبل أيام قليلة من سقوطها ، وأن الأمور تسير حسنة
معى ، واننى أبحث عن عمل مناسب ، حيث أعيش وحدى .

وبعد حوالى ثلاثة أسابيع .. تلقيت ردهما على رسالتى ..
كانت رسالتهما واضحة التحفظ .. فهما يعلمان مدى نشاط
الرقابة فى هذه الأيام ، وقد اقترحت سوزى أن أعود الى كامبان
.. للنظر فى امكان العمل فى أحد المناجم .. وكم كنت أود أن
أغادر سنغافورة فعسلا .. ولكننى كنت لا أجرؤ على الاقدام
على مثل هذه الخطوة .. فما زال مظهرى يبدو كأحد العمال ..
بيدى الحشنتين ، وجلدى الملفوح . وكنت أشعر أن مظهرى كعامل
.. لن يمكننى أبدا من ولوج محطة السكة الحديدية ، ولهذا بقيت
حبيس المنزل أياما أبتعد عن أشعة الشمس ، ولا أزاول أى عمل
يدوى ، وأستحم بالصابون المعطر ، وأستخدم الكريم ليكسب يدي
طراوة واضحة .

وفى الأسبوع الأول من مايو - نصف مستودع آخر - يقع
على بعد أميال قليلة من الميناء ، فى منطقة بى سون ، وقد علمت
أنه كان مكدسنا بالذخيرة ، بين مستودعات بنيت تحت الأرض
وقد دمرت جميعها ، وقتل تحت الانقاض أكثر من مائة وخمسين
يابانيا .. وكان هذا النبا بالنسبة الى .. يعنى أمرا هاما ..
وهو أننا لسنا ونحدا .. وأن لنا أخوة فى السلاح .. والهدف
.. يعملون فى سكون وصمت من أجل القضاء على العدو المشترك ..

وانقطعت خطابات سورى فجأة فى بداية شهر يولية ، وفى
أواخره ، وصلتني رسالة عاجلة من العم ليو تقول :

« من الأهمية بمكان سرعة حضورك لتبادل الراى فى العمل »
ومن هذه الرسالة القصيرة تنبأت بأهمية ما وراءها ، وقررت
أن أسافر فى الصباح التالى الى ايوا . . بعد أن أصبح فى مقدورى
التجول فى صورة رجل أعمال ، وأبرقت للعم ليو . . محددا موعد
وصولى . . تقريبا . .

وفى إحدى عربات الدرجة الثالثة بالقطار . . وجدت مكانا لى ،
وهى عربات . . وإن لم يتوافر فيها ما يمكن أن ننشده من وسائل
الراحة فى مثل هذا الجو الحار . . إلا أنها تفوق كثيرا عربات
الحيوانات التى ركبته فى رحلتى السابقة . . ولم أكد أستقر
فى مكانى حتى انهالت على من نوافذ العربة . . الربطات والسلال
والأقفاص المملوءة ، التى كان يدفعها الركاب حيثما كان . . قبل
أن يلقوا بأنفسهم أيضا من النوافذ .

وكنت فى هذه الرحلة أسعد حالا ، مما كنت فى سابقتها
أذ قطع القطار المسافة فى أقل من ثلاثين ساعة بدلا من خمس
وخمسين . . وكم كانت دهشتى بالغة حين وجدت العم ليو فى
انتظارى بالمحطة . . فكان لقاء حارا . . اختلطت فيه البسمات
بالدموع . . وأقلقنى ما كان يبدو عليه من ضعف ووهن وهوىحاول
أن يتظاهر بالقوة . . ويشير الى ويقول :

— جميل أن يكون المرء شابا . . وقويا .

وكنّا فى الطريق الى المنزل . . نلتزم الحذر فى الحديث . .
وحين وصلنا الى المنزل سألته عن الدافع لارسال رسالته هذه ،
فأجابنى قائلا :

— الوقت أمامنا طويل يا بنى . . عليك أولا بحمام يزيل عنك
آثار هذه الرحلة . . ثم بوجبة دسمة أنت فى ميسس الحاجة اليها

.. كما أن في الرقاد يا فتى .. ما يهدى الأعصاب .. ويجدد النشاط ، وقبل كل ذلك لن تسمع منى كلمة واحدة .

والتزم العم ليو بصمته هذا : ولم يبدأ حديثه معي ، الا بعد أن تناولنا طعام الإفطار صبيحة اليوم التالي . فبدأ يوضح الظروف التي تمر بالبلاد ، والحالة السيئة التي آل اليها الناس بعد أن تبخرت مواردهم المالية . فالمصانع والمناجم والمزارع .. ما نجا منها من التدمير ، لم ينج من السلب .. ومن كان يملك مالا في مصرف ، يتعذر عليه الآن أن يصرف درهما واحدا منه بعد أن توقفت المصارف عن العمل نهائيا .. ومن كان يعمل في وظيفة تعطل عن العمل بعد أن توقف صرف الرواتب الشهرية .. ومن كان يزاول تجارة أرهقته الضرائب الجديدة وأعجزته عن موازنة حالته المالية . وفوق كل هذا فان سيف الاحتلال مسلط على رقبة كل شخص غير متعاون .. وهو يثير الرعب في نفوس الناس ، ويفضي على البقية الباقية فيهم .. من عزة وكرامة وروح وطنية ، وبذلك أخذت الثروات تتسرب من أيدي أصحابها ، كالماء الذي يسيل من اناء مثقوب .. فباعوا ممتلكاتهم .. ومجوهراتهم .. وكل نفيس لديهم .. بأقل القليل .. سدادا لدين .. وانقاذا من افلاس ..

وتوقف العم ليو قليلا يجفف العرق الذي غمر وجهه ، ثم تابع حديثه قائلا :

- والآن يا ولدي .. فننتقل الى الموضوع الأهم .. وهو سوزي .. لقد جانبها الحظ .. ولم تسعد بما تركه لها والدها من ثروة ، وكان عليها أن تدفع حوالى ٢٥٠٠ دولار كضرائب مقررة عليها .. ولم يتوافر تحت يدها مثل هذا المبلغ الكبير . لقد كان من الواجب عليها أن تكتب الى .. أو اليك .. شارحة هذا الموقف ، ولكنها لم تفعل .. وبقيت تحت رحمة عمها فاي كو ..

وحين سمعت هذا الاسم .. ثار دمي .. فأنا اعلم من هو فاي

كو هذا ٠١ وكيف ألقى بنفسه تحت أقدام الحكام المستعمرين ٠٠
وعرض خدماته عليهم ، ووثق صلته بمن يدعى ميشياكو رئيس
المباحث العسكرية في كامبار ، وبهذا أصبح يرتكز على مساعد
قوى ٠٠ يمكنه من التدخل في كل أمور المدينة ، وفرض إرادته
على أصحاب الأعمال فيها ، يشاركونهم أرباحهم ، وينهب ثرواتهم ٠
لقد كان نكرة قبل الحرب ٠٠ وأصبح في شهور قليلة من أكبر
الأثرياء ٠

وتابع العم ليو حديثه قائلا :

— لقد لجأت سوزى الى فاي كو — وهو زوج عمتها — لتطلب
منه العون في هذا الموقف العصيب ٠٠ ولكنه تقاعس وامتنع ٠٠
وهو يدعى أن والدها سلب أمواله ٠٠ مذ كان صغيرا ٠٠ وأنه
سينتقم من والدها في شخصها ، ثم أخذ يتابع الضغط عليها
وارهاقها ، مستغلا نفوذه لدى السلطات — التي أخذت تواليها
بالانذار تلو الانذار — ثم تقدم اليها عارضا أن تتنازل له عما آل
اليها من والديها فرفضت ٠٠ ولكنه لم يتراجع ٠٠ بل أخذ يتابع
الضغط عليها بكل الوسائل ٠٠ ثم تقدم مرة ثانية يعرض عليها
قرضا منه لتسوية المطلوب منها ، بضمان ممتلكاتها ٠ وحين لم تجد
أمامها طريقا آخر تسلكه ٠٠ قبلت هذا العرض مرغمة ٠٠ وحين
قدمت اليها وثائق الرهن للتوقيع عليها كانت كلها باللغة اليابانية
التي لا تعرف منها حرفا واحدا ٠٠ ومع ذلك وقعت عليها ٠٠ وهي
لا تدري أنها توقع اقرار عبوديتها ٠٠ بعد أن أصبحت تحت رحمته ٠

وقام فاي كو بعد ذلك بإعداد منزل والد سوزى ليكون منتدى
للضباط يقضون فيه لياليهم الحمراء ٠٠ وبدأ يبحث لهم عن
الفتيات ، وحتى يقوى ما بينه وبين ميشياكو من روابط ، وليضمن
رضاء سيده عليه ، دعاه الى حفل خاص أقامه له في منزله ، وحمل
سوزى على أن تستضيفه هي ٠٠ بدلا من زوجته — ربة البيت —
أو إحدى فتياتها هو ٠ وحين قابلها ميشياكو هذا — أعجب بها ٠

ثم توالى زيارته للمنزل .. وبمرور الأيام تعلق بالفتاة .. وجن بها ، وأخذ يطررها بالهدايا والمجوهرات ، وكلما حاولت أن تبعده عنها .. كلما ازداد تعلقه بها .. وكان فاي كو يستغل هذا الموقف أحسن استغلال .. بكل ما يدعم مركزه ويقوى نفوذه ، وينمى ثروته .. حتى أصبح مجرد ذكر اسمه .. فى أى وسط أو مجتمع ، يثير الرعب والهلع فى النفوس . وكانت سوزى تقاوم قدر جهدها - تمادى ميشياكو .. وتعصيد فاي كو له .. وهى تقاسى الأمرين بينهما ..

ومند حوالى أسبوعين ، أقبل ميشياكو يحمل خاتما مرصعا بالماس . وقدمه هدية منه لسوزى ، فلما امتنعت عن قبوله ثارت ثأثرته وعلا صوته ، فأسرع فاي كو يقدم له زجاجة من الخمر الفرنسى المعتق .. ويدعوه الى كأس حتى ينهى حديثا قصيرا بينه وبين سوزى .. وحين أفرط فى الشراب كعادته نسي نفسه ، ونسى الخاتم .. وتناسى سوزى ... وقبل أن يقضى على ما تبقى فى زجاجة الخمر ، هب على رنين جرس التليفون ، وتبين أن قائده يدعو فوراً لتلقى تعليمات سرية عاجلة ..

ثم تبين بعد ذلك أنه كلف بقيادة وحدات صغيرة من الشرطة العسكرية التى تجمعت تحت قيادته لمطاردة جماعة من الصينيين هاجموا دورية يابانية قرب كامبار وقتلوا أفرادها ، وكان من المقدر أن تستمر هذه المطاردة أياما .. قد تطول الى أسبوعين .. ولكنه عاد اليهم بعد يومين ، مدعياً أنه حضر لمهمة رسمية ، ولكنه فى الحقيقة كان على شوق للحظات يقضيها بالقرب من سوزى .. وقبل أن يغادرهم .. أمر فاي كو بالاستعداد لحفل زواجه من سوزى لمجرد عودته ثانية .

ولم تستطع الفتاة صبرا بعد ذلك .. وهى ترى ما ينتظرها حين يعود هذا الوحش ، وقد استطاعت أن تتغلب على ضعفها ، وأن تركز أفكارها وجهدها لتتوصل بالعم ليو .. فى ايبواه . فكما استطاعت بعد جهد أن تقنع عمتها بالسفر معها الى ايبواه .

بحجة شراء ثياب العرس التي يشتهر صناع ايبواه باعدادها ..
وكانت عمته ايضا تريد ان تقوم ببعض المشتريات .. ووجد فاي
ركو .. فيما طلبته سوزى .. تحولاً يبشر بالخير .. فلم يعترض
على سفرهما ..

وفي ايبواه استطاعت سوزى ان تتصل بالعم ليو .. وان
تطلب منه ان يعجل باستدعائي وهي تقول :

— لقد انقذ ليو فونج حياتي .. ولا بد ان اتدارس معه
موقفي الآن ! ..

وبعد ان استمعت الى قصة العم ليو هذه سألته قائلاً :
— هل اوضحت سوزى ما تنوى عمله مستقبلاً ؟
— تريد ان تنضم الى ونجتي والآخرين .. هكذا قالت ..
ولكنها تطلب اولاً ان تعزز — أنت — هذا الرأي ..
— لماذا لم تكتب لي موصحة كل هذا الذي أصابها ؟ ..
— لقد منعها فاي كو من الكتابة اليك .. وحجب عنها
رسائلك الأخيرة ..

كان في هذا الرد ما أوضح لي بجلاء سبب توقف رسائلها
الى في الفترة الأخيرة .. وكنت أشعر وقتئذ في قرارة نفسي ان
توقفها هذا .. لا بد ان يكون تحت تأثير دافع قوى .. وها قد
اتضح لي الآن بجلاء الخطر الذي يحيط بها .. والذي يحتم على ان
أكون الى جوارها .. لأعمل على انقاذها ..

وتنبهت الى نفسي والعم ليو يربت بيده علي مساعدي ..
فقلت :

- والآن .. ما هي خطتك .. أيها العم ليو ؟ متى .. وأين .. وكيف .. أقابل سوزى ؟

- ستنقلك عربة يقودها أحد رجالنا الى حيث تقيم سوزى في كامبار ، وستصل بك هناك حوالى الساعة السادسة بعد الظهر ؛ وستتظاهر بأنك عابر في مهمة خاصة .. وقد رتبنا إبعاد فايكو عن المنزل هذه الليلة .. وسفره الى ايبواه ، بحيث لا يعود قبل يومين ؛ وستدعوك زوجته لقضاء الليلة معهم . وبمجرد أن يحل الظلام على المدينة .. تنسحب أنت وسوزى في سكون الى الحديقة دون أن يراكما أحد .. وستجد احدى عرباتنا في انتظاركم على مسافة قريبة خلف المنزل ، وستعود بكما العربة الى هنا .. في الحال . أما الخطوة التالية بعد ذلك .. فاتركها للظروف .

تملكنى بعد ذلك شعور غامض مملوء بالقلق والاضطراب .. لم أدر دافعه .. ولم يخفف من وطأته سوى شعورى الجارف بحاجتى الى سوزى .. وشوقى الى لقائها ..

الفصل الثانى عشر

وعند وصولى الى منزل فايكو ، وجدت سيارة فخمة واقفة تحت ظل شجرة كبيرة ، وتوقعت أن تكون لابن الشيطان ميشياكو وأن يكون هو فى المنزل . ولم أدر حتى هذه اللحظة لماذا اتجه تفكيرى الى العربة .. والى هذا الوحش ! والى الربط بينهما بهذه الصورة ! انه لمن المدهش أن يندفع المرء الى النتائج مباشرة .. بالغريزة .. بدلا من تحليل الأسباب والظواهر أولا ، وانه من المثير ايضا .. أن تكون مثل هذه النتائج دائما .. صحيحة ..

وحين قرعت الباب الخارجى أدهشتنى الاستجابة السريعة
فى فتح الباب ، وظهور العمة فائى كوخلفه فى حالة من الرعب
والذعر أثارت شكوكى .. وما أن رأتنى حتى صاحت قائلة :
(وهى تظننى فائى كوخ) .

— فائى .. لماذا تأخرت هكذا ؟ خشيت أن ..
ثم فجأة نوقعت عن اتمام الحديث .. وهى تنظر الى بدهشة
.. وغباء .. ثم اخلت فى البكاء والنحيب وهى تقول :
— لا جدوى منى .. والموت أهون على .. كم أنا عمياء ..
أنا كيفية أيها الفتى .. لا أرى ما أمامى .. لقد كنت أعتقد أنك
فائى .. زوجى .. من أنت أيها الفتى ؟ ..

ثم فجأة ايضا نذكرت من أكون .. بعد أن أفاقت الى نفسها
قليلا ، واطمأنت الى وجودى ، وتأكدت أننى ساعاونها فى القضاء
على الكابوس الذى يفزعها ، ويقض مضجعها . ثم تابعت حديثها
بصوت مضطرب مخنوق .. وهى تقول : —

— نعم أيها السيد .. ما اسمك يا سيدي ؟ لعنة الله
على ذاكرتى هذه ..

ثم أغلقت الباب خلفى وهى تقول :

— لا بأس ياسيدي .. لقد وصلت فى اللحظة الحاسمة ،
ولا يمكن أن يرسل السماء ملاكا أكثر رحمة منك فى هذا الوقت
العصيب .. ان أه وان (أى سوزى) فى غرفتها بالدور العلوى
.. انه مخمور .. مخمور جدا .. ويبدو كمن فقد عقله .. انه
يريدها .. وهى نفاومه .. والله وحده يعلم ماذا سيفعل بها !
أو ماذا فعل ! .. لست أدري .. أسرع يا بنى .. أسرع ..
أنقذها ..

واندفعت أمامى مذعورة ترتعد .. ثم أشارت الى السلم ..
والى حجرة سورى وهى تقول :



— أسرع بالله .. هناك .. فوق ..

وفي هذه اللحظة علا صوت سوزى تطلب الرحمة ..
والنجدة .. وعلا أيضا صوت الوحش الهائج ، شار .. يهدن
.. ويتوعد .. ويغطي كل هذه الأصوات صوت نهطيم قطع
الأثاث .. وهو يقذفها في أنحاء الحجرة ، وصرخت فاي كو تقول:

— أسرع يا بنى .. انقذها .. انقذها من هذا الشيطان ..

ثم سقطت على الأرض خائفة — واندفعت أقفز درجات السلم
قفزا ، كان باب الغرفة مغلقا ، ولما فحصته وجدت أنه لم يغلقة
بالمفتاح ، وأنه اكتفى بقطعة من الأثاث وضعها خلفه ، فاندفعت
الباب بقوة .. فانفتح أمامي .. وأسرعت بدحول الحجرة ..
فواجهت ميسياكو ..

كان واقفا أمام الفراش .. وسوزى تقف أمامه قى الجانب الآخر منه ، وكان يستعد ليقفز نحوها .. من فوق الفراش ، وكانت هى تتأهب له ، لتتجنب الودوع بين يديه .. وحين شأهدتنى صأحت تقول :

ـ ليو فونج !.

وآين اطمأنت الى وؤودى بقرىها .. بدأت تستعيد ثقتىها فى نفسها ، وتتمالك رشدها ..

لا أدرى كم طأل هؤا الصراع بينهما !. ولكن الحالة التى كانت عليها الغرفة كانت تشير بوضوح الى مدى هذه المقاومة العنيفة .. فالكراسى ممزقة ومحطمة .. والفراش بعيد عن موضعه .. وآثار أقدام مئشياكو الموحلة على الغطاء والوسائد ـ ثم هؤا الرعب الذى كان يملأ عينى سوزى من لآظات .. ثم هؤة الثورة وهؤا الغضب اللذان كانا يملآن نفس هؤا اليابانى .. لا يمكن أن يكون كل ذلك وليد لآظات قصيرة .

وآين اعترضت طريقه وهو بهذه الصورة ـ وكان شبه عار ، لا يعلو جسده سوى قميص خفيف ، وان بقى مرتديا حذاءه الطويل ـ كمظهر اعتقد أنه يحفظ له هيبته ـ نظر نحوى بفيظ وحقـد وهو لا يتصور أن هناك من يجرؤ على الوقوف أمامه ، ليأمره من هؤا الصيد الجميل ، وترك الفتاة جانبا ، وبدأ يستعد لمواجهة .. وفى نفس اللحظة كنت أنا أيضا أراقبه بأحذر وعناية، وأنا آأأأ أهبتى لمواجهة . كان ربعا ، قوى البنيان ، يبدو وجهه كوجه ثور هائج ، عيناه تقدحان وهجا وشررا ، وتبدو من بين شففيه أسنان بارزة مخضبه بأثار الطباق ، وتفوح منها على بعد رائحة الحمر .

فى هؤة اللحظات القصيرة تدارس كل منا الآخر .. بعناية .. وفجأة تنبعت الى شىء ملقى على الأرض . آين أتجه نظره إليه بسرعة ، وحين اندفع نحو طبنجته الملقاة على الأرض على بعد

أقدام قليلة من حيث يقف ، اندفعت أنا أسبقه وأقذف بها بعيدا
بقدمي قبل أن تصل يداها اليها .. وفي هذه الحركة .. اصطدمننا
ببعض للمرة الأولى ، وبدأ الصراع العنيف بيننا .. وكان واضحا
أن أحدهنا .. يجب أن يقتل الآخر .. ان لم ينته هذا الصراع
بالقضاء على كلينا .. معا .. !

كنت ألاحظ ما يرتسم على وجه سوزي من رعب ، وكنت
أستمد القوة من نظراتها .. ومن شعوري بواجبي نحوها ، كم
وددت لو أنها أسرعت مبتعدة عن هذا المكان .. وعن الخطر الذي
يحيط بها .. وعما يمكن أن يحدث لها .. ! وفي دوامة الفكر
هذه التي أحاطت بي ، شعرت بأصابع ميشياكو تحيط بعنقي ..
وتعصره ، ولكنه لم يكن وحده الذي يجيد المصارعة اليابانية ،
فسرعان ما تخلصت من قبضته واستدرت نحوه ووجهت اليه
قبضة قوية طرحته أرضا ، وحين نهض ، صرخ وهو يندفع نحوي
.. ولما تجنبته اصطدم بالحائط ، فقفزت فوقه وأنا أطوق عنقه
بيدي القويتين . وكان يقاوم بقوة وعنف .. وهو يزمر كالوحش
المجروح . فأخذت أنادي سوزي وأشير اليها أن تهرب ... وكان
في الحساحي عليها ما مكن ميشياكو من التخلص من قبضتي ،
وعندما استدار تمكن منى بحركة مفاجئة والقاني بعيدا .. وفي
هذه اللحظة لمحت سوزي تنفلت خارجة .. فاطمأنت ..

واحتدم القتال طويلا ، وكنت أستجمع أعصابي دائما ..
بينما تتضاعف ثورة خصمي .. فيفقد الكثير من صبره وأعصابه
.. وكان يحاول دائما أن يصل الى سلاحه .. وكنت دائما أبعده
بعيدا . لقد أردت في بادئ الأمر أن يكون قتالنا يدا .. بيد ،
ولما طال الصراع وبان القدر واضحاً ، سعت أنا أيضا الى السلاح
.. وفي لحظة كان قد اقترب من طبنجته .. وكان واضحا أنه
سينجح هذه المرة .. حين لمحت سيفه فجأة .. فأسرعت التقطه
بحركة خاطفة ، وسرعان ما سحبت من غمده .. وفي لحظات ..
كان نصل السيف .. بكامله .. يخترق صدر ميشياكو ..

لقد كان على أن أقتله .. أو أن أتركه يقتلنى . لم يكن أمامى
أى حل آخر ! .. ولم يكن لى الخيار فيما أفعل ! .. ففعلت ما رأيته
صوابا .. وكان عين الصواب ! !

كانت ثيابى قد تخضبت بدمه .. وأنا أندفع خارج الغرفة
أدعو سوزى .. وأقول :

— اقفلى الباب الخارجى ، وامنعى دخول أى فرد .. كائنا من
كان .. حتى عمك ، واقطعى سلك التليفون . أصدرى تعليماتك
المشددة للخدم ، ونبهى عمك .. وحذريها .. ثم اسرعى
الى بملابس نظيفة مما يملكه عمك ..

وبعد لحظات كانت سوزى تصعد درجات السلم ، وحين
شاهدتنى بملابسى المخضبة بالدماء .. صرخت وهى تحاول أن
تطمئن على ، ولما أوضحت لها نتيجة القتال ، رجوتها أن تسرع
بأحضار الملابس ، وحين عادت بها منعته من دخول حجرتها
ورجوتها أن تنتظرنى فى حجرة الطعام ، وأنا أؤكد لها ضرورة
مغادرة هذا المنزل .. وفى الحال ..

وفى الحمام المجاور .. أزلت كل آثار المعركة .. وقبل أن
أرتدى الثياب النظيفة .. تنبهت الى ما أصابنى من جراح ..
ولكننى لم أحاول تضميدها خشية أن أضيع وقتا .. كنت أراه
ثمينا للغاية . وقبل أن أغادر الحجرة لمحت حقيبة ميشياكو ملقاة
على الأرض . وانحنيت ألتقطها وأنا أتخيل ما فيها من وثائق
رسمية سرية .. حين سمعت هاتفا من الأعماق ينادينى ..
« اتركها فى مكانها .. وأسرع .. ابتعد بعيدا » .. وكنت
على يقين من أن الصوت ، كان صوت « لى لان » ، فاندفعت خارج
الحجرة وأغلقتها خلفى .. وفى حجرة الطعام وجدت سوزى ..
والعمة فائى وخادمتها .. والرعب يملأهن ، فاتجهت نحو العمة
أسألها عن زوجها فأجابت بأنه غادرهم الى ايبواه بعد أن استدعى
فجأة لعمل عاجل ، وأنها لا تدرى متى سيعود ! .. ولما سألتها

عن أطفالها أجابت بأنهم يختبئون في المخزن بعد أن شاهدوا
ما كان بين سوزى وميشياكو من صراع .

وبدر-الى ذهنى خاطر سريع ، رأيت فيه حلا للموقف ، فأخذت
في تنفيذه فى الحال ، وتوجهت الى العمة بالحديث قائلا :

— استمعى الى أيتها العمة فإى .. وامتنعى عن هذا البكاء
والعويل ، لتركزى انتباهك لكل كلمة أقولها .. سأقيدكم
بالحبال ، وأكم أفواهكم جميعا .. وسأغلق عليكم باب المخزن
مع الأطفال .. وستبغون هناك بعض الوقت .. اذ ان البوليس
سوف يبحث .. وسيكتشف محل وجودكم .. وحينئذ تعلنون
ان بعض اللصوص قد اقتحموا المنزل .. وقيدوكم .. واللقوا بكم
فى هذا المكان .. وان هذا الشيء حدث منذ عدة ساعات .. وانكم
كنتم فى حالة من الرعب والخوف .. فلم تتمكنوا من مشاهدة
وجوههم بجلاء لا سيما وأنهم كانوا ملثمين .. سيستجوبونكم ..
فيقول بعضكم ان اللصوص كانوا أربعة .. والبعض يقول انهم
كانوا خمسة .. أو ستة .. وانهم كانوا ملثمين .. يحملون خناجر
بأيد خشبية طويلة ! .. وحين يسألونكم عن آه وان (سوزى)
فالجواب .. انهم قيدوها معكم .. ولكنهم لم يضعوها فى المخزن
معكم .. ولا تعرفون ما حل بها بعد ذلك ! سيسألونكم عن
اليابانى .. وحينئذ تظهرون الدهشة وتعلنون انكم لم تشاهدوه
يدخل .. ولا تعرفون متى حضر الى المنزل ، وأنه يحتمل أن يكون
قد وصل بعد أن سطا اللصوص عليكم .. وانكم لا تعرفون متى
رحل .. أو ماذا فعل .. يمكنكم أن تقولوا انكم سمعتم جلبة
فى حجرات النوم بالدور الثانى .. وانكم اعتقدتم ان اللصوص
ينهبون ما فيها .. هل هذا واضح .. ركزوا أذهانكم تماما ..
ولا تقولوا أى شيء آخر .. وهذا أمر بالغ الأهمية . تذكروا جيداً
.. انكم لم ترونى هذه الليلة .. لم ترونى الليلة بالمنزل ..
واننى لم أحضر هنا منذ شهر - وتأكدوا أن بكاءكم ونحيبكم

واسترحامكم لهم ، لن يحقق لكم أى سلامة .. فافعلوا كل ما قلنا لكم .. وحافظوا على صمتكم .

وحين أنهيت مهمتى معهم .. غادرت المنزل ومعى سوزى بعد أن أطفأنا أنوار المنزل كله .. حتى لا يحدث ما يثير الشبهات .. وحين تأكدنا من خلو الطريق اندفعنا تغادر باب الحديدية الخلفى .. حيث كانت العربى فى انتظارنا .

وفى الطريق كنت أفكر فيما مر بى من أحداث .. ومتى يكتشف الحادث ؟ .. وماذا ستفعل السلطات ؟ .. هل ستحافظ مدام فائى على السر ؟ .. وهل سليجاً رجال الشرطة والمباحث الى وسائل العنف والاكراه معها ومع أطفالها حتى ينتزعوا الحقيقة من أفواههم .. ؟ هل من الأفضل أن نتابع رحلتنا الى تانجونج بدلا من قضاء الليل فى ايبواه .. وهل نتابع رحلتنا فى نفس هذه العربى ! .. وفى هذه اللحظة تنبعت الى أمر هام فصحت فى السائق أقول !

- يجب أن نغير أرقام السيارة بعد وصولنا الى ايبواه .. فاجاب :

- لقد غيرناها مرة .. وسنغيرها مرة ثانية .. وأكثر من ذلك سنغير لون العربى نفسها .. والعم ليو لا تفوته أبدا .. مثل هذه الدقائق .. وهو دائما على استعداد لمواجهة الطوارئ .. وما تحمل بين طياتها !!

وللمرة الأولى بعد هذا الحديث شعرت بسوزى تلتصق بى ، وهى جالسة الى جوارى - ثم وهى تميل برأسها فوق صدرى وتقول :

- كيف أشكرك يا ليو .. وكيف أرد لك دينك .. ؟ فشعرت فجأة بالرغبة فى أن آخذها بين يدى .. ولكننا كنا قد وصلنا الى المدينة .. وكانت أضواء المحال والمنازل والطرقات .. تضيء وجوهنا ..

الفصل الثالث عشر

انتشر نبأ اغتيال ميشياكو بسرعة مذهلة ، واهتمت سلطات الأمن بالتحقيق والبحث عن الجاني أو الجناة ، وسلكوا فى سبيل هذه الغاية كل مسلك عرف عنهم ، فاعتقلوا المئات من الأبرياء ، وانتشروا فى كل مكان وراء أى خيط .. ولو كان واهياً .. يتلقفون أى خطأ قد يرتكبه البعض ، ممن يكونون فى لهفة للتعرف على أنباء الحادث .. أو مدفوعين بعامل الاثارة الذى يحيط به من جميع نواحيه .

كانت سلطات الاحتلال قد جندت بعض العناصر الضعيفة التى لم تستطع مقاومة عوامل الاغراء ، التى كان منها - فضلاً عن الامتيازات المادية المختلفة - ارغام باقى المواطنين على تحييتهم عند المرور عليهم فى الحراسات التى يقومون بها ، بانحناء كبيرة ، اسوة بما يتبعونه نحو السادة جنود جلالة الامبراطور . وويل لمن يعترض .. أو يخالف .. أو يسهو عنهم .. فلن يسلم من الضرب والركل .. والسلب .. وويل لها ان كانت فتاة ..

وقد رأى العم ليو ألا نجسأزف بالخروج والتوجه الى حيث يقيم وونج تى .. ورفاقه ، حتى لا نمر على الحراسات والبوابات التى أقاموها فى كل مكان .. وحتى لا يتعرفوا على سوزى بعد أن نشروا صورتها وبينوا أوصافها وحددوا مكافأة قدرها ٥٠٠ دولار لمن يقبض عليها .. أو يرشد عنها ، واقترح العم ليو أن أبقى معه فى ايبواه لمساعدته فى أعمال الاعلام والدعاية التى تقوم بها المنظمة السرية لمقاومة اليابانيين (م . س . ي) التى يرأسها ، وكانت هذه المنظمة قد اتخذت طابعا جديدا جديدا ، ونجح ونجحت فى تمويلها وتنمية مواردها .. بالتبرعات التى أخذت تنهال

عليها ، بالإضافة الى ثروة كوان لو التي عثروا عليها مخبأة في المنجم .. والتي كانت النواة التي قام عليها نشاط المنظمة في بادئ الأمر .

وامتد نشاط المنظمة للعمل في عدة مجالات أخرى .. فاعدت فرقاً خاصة من عمال التحطيب الذين يعملون في الغابات .. يتابع أفرادها خطوات القوات اليابانية .. فينقلون أنبياءها ويقضون على من يقع منها بين أيديهم ، كما شكلت المنظمة مجموعات من عمال المناجم .. يتولون أعمال النسف والتدمير لشل كل خطوة جديدة يقدم عليها عملاء العدو . لاعادة تشغيل أى منجم لأغراض المجهود الحربي . فكانوا يخلطون الزيت بالرمال الناعمة ، ويضعون الأسمنت بين أجزاء المحركات أو يمزجون الوقود بالملح .. وهكذا ، كما كانوا يكلفون بتدمير الجسور والقناطر والسكك الحديدية والمنشآت الحيوية التي يتطلب الأمر نسفها . وامتدت نفوذ المنظمة داخل الدواوين والهيئات والمصالح .. فتطوع الكثير من موظفيها وعمالها للعمل في المنظمة أو لنقل الأنبياء اليها .. ونشط هاليسمات في تقصى أنباء رجال الشرطة ومتابعة تحركاتهم - وهو من العاملين معهم - كما كان من أبرز الساهرين على توزيع نشرات الدعاية التي تعدها المنظمة .. وكان آه بين ينقل الإنسا الأنبياء التي تزيعها محطات الاذاعة المختلفة ، وكان لي كوى يتولى اعداد النشرات وطبعها على ماكينة جستتر قديمة استطعنا الحصول عليها .. وكانت هذه النشرات تسبب الأرق والدوار للمستولين من رجال الحكم ..

ومضى العم ليو يوضح لنا مدى ما حققوه من نجاح في الأشهر القليلة الماضية .. مما لا يستطيع هنا سوى الإشارة إليه إجمالاً .. ثم ختم حديثه قائلاً :

- وهكذا ترون يا أبنائي .. أننا بدأنا بداية طيبة .. وطالما كانت خططنا تسير سيرا حثيثا .. وكلما وصلنى تقرير عن عمل فلجح تم انجازه .. فأننى أشعر بالسعادة تغمرنى .. حين أرى الرجال ينجزون وعدهم .. لشهدائنا الأبرار ..

وبعد وقفة قصيرة .. استغرق فيها العم ليو قى تفكير عميق
.. تابع حديثه قائلا :

— ستأتى نهايتى قريبا .. وأنا أشعر بهذا .. وكلى ايمان
.. واطمئنان .. وحين يأتى هذا اليوم .. سألتقى بزوجتى
وابنائى .. وأنا قرير العين ..

وأثارت هذه الكلمات كوامن الشجن فى نفس سوزى فهمست
فى أذنى تقول :

— يجب أن نلازم العم ليو .. حتى النهاية ..

وعملت خلال الأشهر القليلة التالية — فى خدمة المنظمة بعزم
وقوة ونشاط .. وتركز جهدى بصفة خاصة فى اعداد النشرات
وطبعتها وتوزيعها .. وقد كانت المشكلة الرئيسية التى تواجهنا
دائما هى تدبير الورق اللازم .. وكنا نواجه صعابا جمة فى سبيل
الحصول عليه .. ولكننا لم نتوقف أبدا ..

وكان لنا أسلوبنا الشائق فى نشر أنباء محطات الاذاعة ،
والتعليق عليها ، وكان الأهالى يتلقون هذه النشرات بلهفة وترقب
.. اذ كانت السلطات تحرم حيازة أجهزة الراديو ، وتفرض
عقوبات صارمة على من يقتنونها ..

وفى نفس الوقت كنت أركز اهتمامى أيضا على اخواننا
المقيمين فى الكهف .. حيث يتتبعون نشرات الاخبار من جهاز
راديو .. وكنت أوفر لهم طلباتهم وأعسد لهم احتياجاتهم ..
ولا أشعرهم أننا فى المدينة — بعيدون عنهم ، لا نفكر فيهم ..

و ذات يوم من أيام شهر سبتمبر .. قدم ونجتى لزيارة العم
ليو .. وكنت لم ألتق به منذ أكثر من ستة شهور ، فكانت فرحتى
بلقائه لا تقدر .. وحين اجتمعنا .. حول مائدة الطعام .. بدأ
الحديث فى الموضوع الذى قدم من أجله بلا مقدمات .. فأخذ

يوجه النظر الى الاجراءات التعسفية التى تتخذها قوات الاحتلال
ضد المزارعين ، لترغمهم على الهروب والابتعاد عن مزارعهم ..
ويحذرنا من النتائج التى ستترتب على هذا .. اذ بعد ان يهجر
المزارعون الأرض .. لن نجد الارز ولا الغلال أو الخضر .. التى
نحتاج اليها ، وسنقع تحت رحمة قوات الاحتلال .. نستجدى منها
قوتنا وطعامنا ..

ودار الحديث طويلا .. حول ما يمكن أن نتخذه من اجراءات
مضادة ، وتطرق الحديث الى روح الشعب وطبيعته ، ومدى تجاوبه
معنا .. أو تعاون البعض مع العدو - وللخبرة التى اكتسبها
ونجتنى من رحلاته الكثيرة التى يقوم بها دائما ، فقد بدأ الحديث
فى هذا الموضوع قائلا :

- لسنا وحدنا الذين نعمل فى سكون وصمت لمقاومة قوات
الاحتلال .. فهناك آلاف غيرنا .. فقدوا أعزاء وأحبابا .. فجمعت
الكارثة بينهم .. وأقسموا - مثلنا - على الانتقام .. وأنا أعرف
بعض المنظمات التى شكلت لتعمل ضد المجهود اليابانى الحربى ،
ولتقضى مضاجع الفاصبين وقد اشتبكت معهم مرات عديدة
فى قتال مرير .. ونجحت مرارا فى تدمير مستودعاتهم ومخازنهم
.. وهكذا ترون أن المجهود المبذولة لمقاومة القوات اليابانية ..
كثيرة ، ولكن المؤسف أن كلا منها يعمل فى اتجاه مختلف عن الآخر
.. وبذا أصبح الجهد مشتتا .. وكان من الممكن لو اتحد .. أن
تكون ضرباته أشد قوة .. وأكثر عنفا ، وواضح أننا .. ما دمنا
لا نسعى الا للانتقام .. وللانتقام وحده .. فلن نصل الى شئ
كثير .. !

وتدخلت سوزى تطلب أن توضح وجهة نظرها .. وبدأت
بحديثها بسؤال وجهته اليها .. قائلة :

- لماذا تقاتل قوات الاحتلال .. ؟

ثم تابعت حديثها قائلة ..

- هل نحن نسعى وراء هدف واحد .. هو مجرد الانتقام
لشهداءنا فقط .. ؟ أعتقد أننا نقاتل لتحقيق أهداف أبعد من هذا
.. اننا نقاتل لنستعيد حقا في حياة شريفة فقدناها .. حين فقدنا
حريتنا ! ها نحن نختبئ في هذا المنزل منذ شهر .. كالحيوانات
التي تعيش في الحدائق داخل أقفاص مغلقة - لقد كنا نعيش في
اطمئنان وهدوء .. لانشعر بالخوف .. حين كانت تحكمنا قوانين
عادلة . كان كل فرد منا يشعر بالسلامة والأمن في كل مكان ..
كانت ظروف المعيشة سهلة ميسورة .. وكانت الأخلاق قوية .
كان كل فرد منا يعيش سعيدا بحياته ، حين كان الحب .. والطاعة
.. والولاء .. عنوان كل أسرة .

كنا نشعر بما يختلج في نفس سوزي في هذه اللحظات ..
وكنا نشفق عليها من أن تتابع حديثها الذي استطردت فيه
وهي تقول :

- إننا نرى الآن كيف تسير الأمور في اتجاه معكوس .. بعد
أن فقدنا حريتنا .. وحرماننا حقنا في الحياة وفي التعبير عن رأينا
.. حتى الصحف أصبحت لا تنطق الا بالكاذب .. وعلاقاتنا
ببعض .. أصبح يشوبها الشك والحذر ، ان علينا اذن أن نطهر
أنفسنا أولا .. وأن نعيد بناء مجتمعنا الحلقى .. وأن نجاهد في
هذا السبيل .. بنفس القدر الذي تقاوم به قوات العدو المحتل .
وحين أنهت سوزي حديثها ، سادنا صمت طويل وكانت
أبصارنا كلها مركزة عليها .. وكنا جميعا مأخوذين بصراحتها وقوة
إقناعها . ثم علق العم ليو على حديثها مؤيدا .. ومشجعا ، وتلاه
ونجح تي وهو يقول :

- كم كنت أود أن تكوني رجلا - أيتها الفتاة - فلا شك انك
على حق .. في كل ما نطقته به . فعلا .. يجب أن تكون جهودنا
ببناءة .. بقدر ما هي مدمرة .. نبني لأنفسنا ، وندمر عدونا .
أهدافنا يجب أن تكون من الآن .. القتال من أجل كل ثمين فقدناه

•• من أجل حريتنا •• ومن أجل إعادة بناء مجتمعنا •• وبهذا فقط •• نحقق استقلالنا ••

وكان تعلينى - فى قرارة نفسى •• أن سورى - يعد لي لان -
أنبل من عرفت من النساء ••

الفصل الرابع عشر

كان هذا فى أوائل شهر مارس ١٩٤٣ ، حين قامت مجموعة مكونة من «نج نى ، وكولو ، وواسو ، ولان تا ، وين لين وغيرهم باستطلاع المنطقة التى كانت قد اصطدمت فيها عربة كولو فسقطت فى أحد الخنادق ، منذ عام مضى . وبالصبر والجهد والعزم الأكيد استطاعوا الكشف عن ١٦٥ بندقية ، و ٦ رشاشات ماكينة ، و ٧ صناديق ذخيرة كبيرة الحجم ، و ٦٠ شريط ذخيرة للرشاشات ، و ١٧٠ قنبلة يدوية . كانت كلها ملقاة باهمال فى منطقة شاسعة فوق الأرض وفى الخنادق . وقد عملت الطبيعة خلال هذه الشهور الطويلة على كسوها بالأتربة واخفائها عن العيون . وكانت الأسلحة مغطاة بطبقة من الصدا وأنايبها مملوءة بالرحل .

واستغرق عمل هذه الجماعة أكثر من أسبوعين . وحين ارتاحوا إلى نتائج بحثهم خشوا أن يكشف أمرهم إذا تبادوا فى البحث طويلا . فاكثفوا بما حصلوا عليه . ودفنوا الأسلحة والذخيرة فى عدد من الحفر المتقاربة ، أسفل بعض الأشجار المميزة حتى يمكنهم الرجوع إليها مرة ثانية . ثم تفرقوا وغادروا المنطقة متجهين شرقا إلى منطقة كانوا قد انتخبوها من الخريطة ، لأنها تتميز بوجود واد عريض مستطبل يقع وسط غابة كثيفة تمتد بضعة أميال . تستر أشجارها هذا الوادى . وتحجبه تماما عن الرؤية وعن نظرات الأعين المتطفلة .

وفى الطريق بالقرب من هذا الوادى شاهدوا مبنى منعزلا لفت
أنظار كولو فقام بمعاينته ، كان فى شكل مستطيل مفتوح تواجه
أضلاعه الشرق والغرب والشمال ، أما الضلع الجنوبى منه فكان
غير متكامل . والى جوار المبنى يجرى نبع ماء صغير . وكان المبنى
فى وسط الغابة بحيث لا تميزه العين ولا تكشفه الطائرات . فلم
يتردد الجميع فى اختيار هذا المكان الجديد مقرا دائما لهم ، والانتقال
إليه نهائيا من الكهف الذى أصبح معرضا وأصبحت حياتهم فيه
مهتدة . وقد استغرق انتقالهم الى المقر الجديد ونقل الأسلحة
المدفونة إليه حوالى عشرة أيام . وفى اليوم الأخير . وهم يستعدون
لمفادرة الكهف نهائيا ، كان تايى يقوم بالمراقبة خارج الكهف وشاهد
بالمنظار الكبير بعض الأشخاص يتحركون نحو الكهف بحذر وببطء ،
وازدادت شكوكه حين شاهدهم يستخدمون الأرض والساتر بمهارة
تدل على أنهم من الجنود . وبعد لحظات ظهرت وجوه أخرى كانت
تتقدم أيضا من جهات أخرى . ثم بدت الحقيقة تتضح حين اقتربوا
وتميز زئهم وسلاحهم .

كانت المجموعة قد استعدت للقاء هذه القوات . وانتشرت فى
أوضاعها السابق أعدادها والتدريب عليها بعد تعديل طفيف اقتضاه
وضع القوات المهاجمة وعددها . فكان ونج تى وتايى ولان تان على
شمال الكهف وسلاحهم الرشاشات القصيرة . وكان ليك يى وآه
بن وناتو ناتو فى موقع متوسط أمام مدخل الكهف وسلاحهم
البنادق ، ومجموعة ثالثة صغيرة تستر الجانب الأيمن وتواجه أى
قوات جديدة قد تتقدم فى هذا الاتجاه . كان كل فرد منهم يحمل
الدخيرة اللازمة له ، وكان واجبهم واضحا بالنسبة لمقدار الدخيرة
الذى يتطلب أن تكون كل طلقة . برجل . وبقي الأفراد متربصين
فى مواقعهم . يراقبون بحذر تحركات الجنود نحوهم ، وهم يرون
الأعشاب التى يختفى الجنود خلفها . تهتز وتميل . - تنشف عن
مواقعهم . وحين وصلوا الى مسافة تقرب من المائة ياردة من

الكهف توقفوا ، وشاهد ونج تى بمنظاره - قائد القوة - وهو يصدر تعليماته الأخيرة الى ضابطين كانا الى جواره ، وبعد لحظات اخذت القوات تتقدم على عجل . وبدأت الشجيرات والأعشاب تهتز وتميل بشدة . وحين أصبحوا فى الأرض المكشوفة اندفعوا مسرعين نحو الكهف . ففوجئوا بالنيران تنهال عليهم فتساقطوا كأوراق الشجر فى الخريف .

كان العدو يحاول أن يفاجئ سكان الكهف بالانقضاض عليهم انقضاض الصاعقة ، ولكنه فوجئ بنيران الجماعة تفتح عليه من حيث لا يتوقع . فسقط من سقط ، وحاول من نجا أن يعود أدراجه بعيدا عن منطقة الموت هذه ، وتقدم تايبى ومجموعة خلف العناصر المنسحبة ، وخذا ونج تى ومجموعته حذوه . وتقدمت المجموعة الثالثة من يمين الكهف الى الامام تقطع خط الرجعة على المنسحبين ، ولما أصبحت هذه المجموعات الثلاث على مسافة بعيدة من الكهف تنبه ونج تى الى خطورة موقف أصدقائه . فصاح فيهم يأمرهم بالوقوف . وفجأة دوى انفجار شديد . شاهد ونج تى بعده خمسة من جنود العدو يعدون مبتعدين ففتح عليهم نيرانه ، وأرداهم فى الحال . ولما عاد ونج تى نحو مكان الانفجار شاهد تايبى ملقى فى قاع حفرة قريبة - مضرجا بدمائه - وقد أصيب بشظايا قبلية يدوية القاها عليه أحد الجنود .

كانت اللحظات ثمينة . . وهم فى موقعهم هذا معرضون لنيران قلوب العدو المنسحبة فأسرعوا يحملون جثمان تايبى وينفلقون هائدين نحو الكهف . . وفى الحال واروا الجثمان التراب . . وبعد صلاة قصيرة قال ونج تى :

- هنا يرقد زميل عزيز علينا . . سقط وهو يقاتل من أجل الحرية . وحين يحين الوقت سيكون قبره هذا مزارنا جميعا كل هـام .

وفى الحال أسرع الجميع يقادرون الكهف فرادى مراعين الا يلاحظهم العدو . والا يتابعهم بانظاره . حتى لا يكشفوا سر

ملجئهم الجديد . وحين وصلوا الى هناك قوبلوا بالترحاب والبشر .
حين استقبلهم اخوانهم وعلموا بالنصر الذي حققوه . ثم أعقب
ذلك حزن وترحم حين أعلنوا نبأ استشهاد تايبي .

استغرق اعداد المقر الجديد أكثر من شهرين . تحول بعدها
الى شبه قلعة قوية حصينة حين انتشرت حولها أبراج المراقبة
فوق قمم الأشجار . وامتدت الانشاءات الخفيفة التي اقيمت
لتنسج لاعداد جديدة من المتطوعين ، وأعد الوادي لاستقبالهم حيث
يتم تدريبهم وأعدادهم للعمل الذي سيقومون به .

وفى شهر يونية . كان المعسكر قد أصبح مجهزا لبدء العمل .
وكان سك كى ، وكوما ، ووى كىوى . قد انتخبوا المتطوعين
الذين سيبدأ تدريبهم ، بعد اختبارات عديدة وتحريات طويلة حتى
يضمنوا عدم وجود أى خائن بينهم . وكانوا يرسلونهم فى مجموعات
صغيرة الى مشرب للشاي قرب كامبار حيث يلتقون بأحد رجال
المجموعة ، وكانت كلمة السر للتعرف بينهم تتغير مرة بعد مرة .
وحين يتم تعارفهم يغادر الدليل المشرب ويتسلل خلفه باقى الأفراد
سالكين نفس طريقه متباعدين مدى ما يمكن كل فرد من رؤية الفرد
الآخر المتقدم امامه .

وكان التدريب يسير فى المعسكر بعزم وتفانى ويشمل العديد
من الموضوعات التي يحتاج اليها الفرد فى حرب العضابات والقتال
فى الغابات والمناطق الجبلية تحت اشراف مجموعة توفرت لها
الخبرة والقدرة على رفع مستوى المتطوع الى ما يؤهله للمهام
الجديدة التي ستلقى على عاتقه .

وبقى أخيراً أن تختار أسماء لهذا المعسكر بعد أن تعين ونج فى
قائدا له . وتعددت الاقتراحات . وكان آخرها أن تطلق عليه رقماً
كوديا يستخدمه الأفراد فيما بينهم حين يكوئون فى الخارج كوسيلة
للتعارف والتأكد من الشخصية ، فوقع الاختيار على الرقم ١٠١٥
وأصبح معسكرنا يسمى رقم ١٠١٥ .

الفصل الخامس عشر

الى جوار مخزن الخشب الذى كان العم ليو قد افتتحه -
كتغطية لعمله الحقيقى - كان يقوم مصنع صغير للملابس الجاهزة ،
يديره شريكان صينيان . ونظرا للحالة السيئة التى عمت البلاد
واحجام الناس عن الشراء ، اراد الشريكان تصفية تجارتهما ومفادرة
المكان . . وكانت هذه هى الفرصة التى ينتظرها العم ليو ليحل
محلها نظير مبلغ معقول دفعه لهما .

كان قد بدا تعم ليو ان تنقلات افراد المعسكر وورق التحطيب
وغيرهم ، ذهابا وعودة بين مقار اعمالهم وبين المدينة ، قد تلفت
انظار رجال الشرطة والمباحث السرية ، اذا هى كثرت ، بغير داع او
ميرر معقول ، ولذا كان يرى انه يجب ان يكون هناك ما يربط بين
تحركاتهم هذه وبين دوافع طبيعية لها ، تزيل اى شبهة قد تتجه
نحوهم . وكان من راي ونج تى ان تفتح المنظمة متجرا لبيع حطب
الحريق الذى تستهلك منه المدينة كميات كبيرة ، وبدا يحضر
المندوب الى المتجر حاملا الحطب او ليشتري حطبا ، وحين يقابل
مندوب المنظمة يبلفه ما معه من انباء ويعود من حيث اتى . ولهذا
حين خلا المتجر المحاور للعم ليو . لم يتردد فى شرائه .

وكان من المقرر ايضا ان تكون ادارة المتجر فى يد شخص يعرف
اقراد المنظمة معرفة تامة ، فاختر ليك بى لهذا العمل . ولم يستغرق
الأمر طويلا . حتى انتظم العمل فى متجر الحطب هذا ونشطت
الحركة فيه .

وأصبح المتجر ايضا مكانا مختارا للقاء افراد المنظمة واجتماعاتهم
بعد ان أعدت حجرة واسعة لهذا الغرض ، كانت تقع فى الجزء
الخلفى للمتجر من الدور العلوى . وكان رجال المعسكر وأعضاء
المنظمة يترددون على المتجر يحملون الحطب والانباء التى يلتقطونها

من الاذاعة أو من باقى المصادر الحكومية المختلفة حيث ينتشر عملاؤنا فى كل مكان . ثم يعودون حاملين احتياجاتهم المختلفة . وكانوا فوق هذا يحملون معهم أيضا نشراتنا الاعلامية ليوزعوها فى لقرى التى يمرون بها .



وفى أواخر شهر سبتمبر عام ١٩٤٣ حمل الينا وى كيوى انباء فائى كوا . وكنا قد علمنا قبل ذلك بشهور ، بما فعله حين اكتشف مصرع ميشياكو . ولكن معلوماتنا كانت ناقصة متضاربة . فلما وصلتنا هذه الأنباء الأكيدة اكتملت لدينا الصورة تماما .

فقد علم فائى كوا بنبا الحادث من زوجته وخدمه ، قبل ان يعلم به رجال الشرطة أو المباحث . وكان قد وصل الى منزله قبل الفجر بقليل . بعد ان تبين الخدعة التى حملته على مغادرة منزله — فأخذ يترك الباب دون جدوى وأمر سائقه بالضبط على آلة التنبيه بالسيارة ، فلم يصل الى سمعه أى رد من داخل المنزل ، وحين وجد ان الباب الخارجى للمنزل قد احكم غلقه ، أسرع يعدو نحو الباب الخافى . وكرر محاولاته دون جدوى ، فتعاون مع السائق لتحطيم قفل الباب . ولما انفتح أسرع يعدو نحو البهو وهو ينادى زوجته وأطفاله وخدمه ، فأجابته أصوات مكتومة تستغيث وتستنجد . فبحث حتى عرف مصدرها واتجه نحوه . وعند باب المخزن تعالت الأصوات فأسرع بفتح بابه ، حيث وجد أسرته مقيدة مكمة مطروحة على الأرض . وبعد أن فك وثاق زوجته تركها والسائق وأسرع نحو التليفون ، وحين وجد سلوكه ممزقة أمر رجال الشرطة كذا . ذابى كوا قد لقن زوجته وأطفاله وخدمه مايقولونه فى التحقيق ، فكان يرى نجاته ونجاة أسرته فى اتهام سوزى بأنها كانت خلف هذه ، ميشياكو وبأن فى يده مفتاح الجريمة . وكان يحاول أن يثبت نفسه بأن هذه هى الحقيقة . والا . . فلماذا لم يجد سوزى . . . ومكمة مع زوجته وأطفاله ؟ . ولماذا لم تترك

خلفها دليل مقاومتها للصوص وعدم تعاونها معهم ؟ . ولماذا لم يسمعها أحد وهي تصرخ مستنجدة طالبة الفوث . كان على يقين من أن القبض على هذه الفتاة سيؤدي للقبض على قتلة ميشياكو وكان فاي كوا في ذلك الوقت على رأس قائمة المتهمين الذين اتجهت اليهم شبهات رجال الشرطة . ولكنه كان قد وطد علاقاته بكبار رجال الاحتلال بعد أن أقام لهم النادي الليلي يقضون فيه لياليهم الحمراء ، وهو يفمرهم بالخمور المعتقة ويقدم لهم النساء ، وأكثر من ذلك كان بالنسبة لهم مصدرا سخيا يلجأون إليه وقت الحاجة الى المال . فيحصلون منه على قروض لا يسددونها . وكان يفمرهم في كل مناسبة بالهدايا الثمينة لهم ولزوجاتهم ، وكان من أكبر مصادر الأخبار التي يعتمد عليها رجال الشرطة العسكرية والمباحث الجنائية في المدينة وما حولها . وبهذا استطاع أن يقضي على الاتهام الذي ظل يهدده طوال شهور ثلاثة . بل ونجح في أن يدعم مركزه وأن يقوى نفوذه .



وتابعت المنظمة نشاطها وجهودها فقامت بعمل العديد من الكائن للسيارات اليابانية التي كانت تتحرك ليلا على الطرق ، ونجحت في تدمير خطوط التليفون والتلغراف أكثر من مرة ، وفي أكثر من مكان ، كما دمرت جسرا بالقرب من بيدور ، وقضت على دوريتين للشرطة العسكرية على طريق بيدور - يتلوك انسون ، وفي نفس الوقت كانت المنظمات الأخرى تتابع نشاطها . وكانت أنباؤها تصل إلينا وترفع من روحنا المعنوية ، وكان من أبرز أعمالها : جهودها للكشف عن عملاء الشرطة والمباحث والقبض عليهم والتمثيل بهم ليكونوا عبرة لمن تسول له نفسه الضعيفة خيانة موطنه .

وكان رد الفعل في الجانب المعادي توزيعه نشرات تعرض مكافآت سخية لمن يرشد عن أي فرد ينتمي الى هذه المنظمات . والوعد بالعفو وبالمكافأة لمن يثوب الى رشده ويعترف للسلطات

بمسابق صلت بهذه المنمظات وببراءته منها الى الأبد . وكان قيامنا بالرد على هذه النشرات هو اول ما تلزمنا به واجباتنا ومبادئنا حتى نكشف للمواطنين قدر سلطات الاحتلال وخيانتها لكل من يقع في يدها .

الفصل السادس عشر

كنت وحدي في متجر الحطب ، مفر المنظمة في ايواه ، في مساء يوم ٣٠ ديسمبر ١٩٤٤ ، وكنت اقوم بطبع النشرة رقم ٤٤ للمنظمة . وكما كان متبعا . كان آه سيوب يدخل في مدخل المتجر للمراقبة والانداز . وكانت سوزى تعاني وعكة خفيفة ، وكنت قد رجوتها ان تلزم حجرتها بالمنزل حتى انجز عملي وأعود لتناول العشاء معا . كانت هذه النشرة بالنسبة الى . تمثل الكثير . . . وكنت منكبا على اعدادها وطبعها بحمية ونشاط ، ليتسنى لي نشرها ليلة الاحتفال بعيد رأس السنة حتى تجيء ضربة مضادة للدعايات التي بدأ اليابانيون ينشرونها بمناسبة العيد ، وحتى نقضي على نشونهم وفرحهم وهم يحتفلون به .

وبينما أنا منهمك في عملي توقفت آلة الطباعة فجأة ، وبعد أن تبينت أسباب العطل بدأت في اصلاحه ، وفي اقل من ثلاثين دقيقة عادت الآلة الى العمل بعد ان تخضبت يداي بالأحبار ، اقتوجت الى حوض الغسيل - وكان يقع في احد اركان الحجرة - واخذت ازيل ما على يدي من آثار ، وكان ظهري للباب فلا أرى الداخل الى الحجرة ، وفي وقفتي هذه سمعت فجأة صوتا خشنا يناديني « ارفع يديك » ، فاندفع الدم يملأ رأسي ويعمي بصيرتي ، واستدرت بحذر لأرى شابا يابانيا يرتدى زيا أبيض اللون ويحمل زشاشا قصيرا في يده يصوبه نحوي ، وإلى الخلف منه كان يقف

شخصان آخران : أحدهما صيني والآخر هندي ، وكلاهما يحمل
طبينة يصوبها أيضا الى . كنت كالقار الذي وقع في المصيدة .
وأنا أقع في أيديهم متلبسا وقرائن الاتهام حواى واضحة ملموسة .
وصاح الشاب ببعض الكلمات اليابانية . نقلها الى الرجل الصينى
قائلا . . « أركع أرضا » . فسقطت على ركبتي . وتقدم الصينى
وقيد يدي خلف ظهري ، وعصب عيني بمنديل كبير . وفى لحظات
كنت أتلقى أولى ضربات اليابانى وهو يدفعنى بقدمه فى صدرى ،
دفعه قوية القتنى أرضا ، وأخذ ينهال على ركلا وصفعا ثم أمرنى
بالوقوف فجاهدت حتى أقوم ، وقبل أن أتم محاولتى تلقانى الرجل
الصينى بيده اليسرى وصوب يمناه بضربة فى أسفل صدرى ،
فسقطت على الأرض اتلوى من الألم . وتوالت ضرباتهم حتى صاح
اليابانى يأمرهم بالتوقف . ثم أمر مرافقيه بدعوة باقى الرجال
الذين كانوا ينتظرون بالدور الأول ، وأمرهم بتفتيش المتجر مبتدئين
بالدور العلوى . . ثم السفلى .

وفى الدقائق التى قاموا خلالها بالتفتيش دار فكرى فى كل
اتجاه يبحث عن المنصدر الذى وشى بنا اليهم . وكيف أمكنهم أن
يدخلوا المتجر . وأن يفاجئوني بهذه الصورة . كان واضحا أنهم
لم يستخدموا القوة ضد آه سوب الذى كان يجلس أمام المتجر ،
ولو فعلوا لتنبهت اليهم . وأدهشنى ألا يصدر من آه سوب
ما يندرنى أو يلفت نظرى - ولو حدث هذا - لتمكنت من الفرار
من باب يقع خلفى يؤدى الى معبر صغير يقودنى بعيدا . ترى منذ
متى وأعين رجال المباحث تراقبنا ؟ . وكيف كشفوا سرنا . هل
وشى بنا أحد ؟ . ومن هو ؟ . هل تنبه أحد رجالنا الى ما يدور
فى المتجر الآن ؟ . لينذر العم لو وسوزى لابتعدا بعيدا ؟ .

وقطع على افكارى هذه ، دفعة قوية تلقيتها فى ظهري ، وصوت
يأمرنى بالوقوف . فجاهدت حتى وقفت ، وحين أمرنى الصوت
بالتقدم معه ، قادنى شخصان سرت بينهما ، وخطاى تتعثر وأنا
أنزل درجات السلم . وحين وصلنا الى الباب الخارجى أمرنى

الصوت بركوب العربية وهو يدفعني دفعا بفوهة سلاحه . وحين
صعدت قاذني الى حيث اجلس . وحين بدأت العربية تتحرك
شعرت بيد تمتد الى يدي تربت عليها . ثم تنتقل الى وجهي بنفس
العطف والحنن . كانت يدا خشنة . يد عامل يكدح بيديه ليحصل
على قوته . انها يدا آه سوب . بلا أدنى شك . وحين بدأت انطق
اسمه انهالت اللطمات قاسية على وجهي وانا اسمع صوتا يأمرني
بالسكوت ، وفي نفس اللحظة كان جاري - صاحب اليد - يقاسي
ما كنت اقاسي . وهو يبعد عن مكاني وينفصل الى طرف العربية
البعيد .

وبدأت الحفيضة تبرز امامي ، وانا اتخيل ما عسى ان يكون قد
حدث في اللحظات القليلة التي سبقت العبور على . فقد كان آه
سوب قد اعتاد ان يجلس - في الأمسيات الحارة - على مقعد
خارج المتجر لينعم بالنسيم القليل الذي يهب على المكان بين لحظة
وأخرى . وهو يدخل باستمتاع وشفف . وفي هذه الليلة لا بد
وان يكون رجال المباحث قد فاجأوه في جلسته هذه ، وبأدروا بشد
وثاقه وتكميم فمه قبل ان يتمكن من انذارى . وهذا يوضحه لي
انه لم يحاول محادثتي وهو جالس الى جوارى في العربية ، ولم
يستطع ان يرد على حين أردت التأكد من اسمه .

ووصلنا الى مركز المباحث الجنائية . وانفتح باب العربية
وجذبتني يد خشنة من مقعدي ، وصاح صوت حاد يأمرني بالنزول ،
وحين وطئت قدمي ارض الطريق تلقيت ركلة في مؤخرتي وصفعة
على وجهي فسقطت على الأرض ، وتوالى ركلى بأحذيتهم الثقيلة
فأسرعت أحاول النهوض فلم أسلم من صفعاتهم .

وتقدمت أمامهم الى داخل المبنى ، وحين وصلت الى قريب
نهاية المشي الخشبي ، أمرت بالوقوف ، ثم بالركوع على ركبتي
فامتثلت . ثم بدأت أفكر في العم ليو وسوزي . هل أمكن تحلييرهما
في الوقت المناسب ؟ . هل علم ليك بي ومن كانوا معه في المتجر

المجاور بما حدث لى ؟ . لابد وأن وصول رجال الشرطة وقيامهم بالقبض على قد اثار انتباه القوم . وان كانوا لا يجرءون على الخروج لمشاهدة ما يحدث . كم يسعدنى ألا تكون سوزى معى فى هذه اللحظات العصيبة . . . وأخيرا . . ماذا سيفعل بى رجال الشرطة والمباحث ؟ . أن صفعاتهم وركلاتهم وضرباتهم ما هى الا مقدمة بسيطة . . . لما نعلم جميعا انه يحدث لكل من يقع بين أيديهم . . . وكنت اشعر بقرب النهاية . . . وانا افكر فى زوجتى وفى طفلى ! . .

وقطع على حبل تفكيرى صوت حاد ينادينى . . « انتباه » . وصوت أقدام تطرق المشى بثبات واضح ، وهى تتقدم نحو باب الحجرة المجاورة لى . ثم أذهلنى صوت هادىء يدعونى الى الوقوف ، وقد اخذ صاحبه بعد ذلك يرفع العصا عن عيني ، ويفك القيد من يدي ، ودعانى نفس الصوت الى التقدم معه حتى وقفنا امام مكتب ضخم يجلس خلفه أحد الضباط ، والى يمينه كان يجلس ضابط أصفر رتبة . والى يساره كان يقف الرقيب الأكبر الذى قبض على .

وحين وقفت امامه صاح الرقيب يأمر بتحية القائد ، فانحنيتا طويلا ، وانا اقتدى بالمرجم الذى كان يرافقنى . وحين رفعت راسى القيت نظرة فاحصة على هذا الرجل . وكان شعورى الاول أن يشاشته وابتسامته تجعلان شخصيته - فى اوساط الشرطة والمباحث اليابانية - تبدو غريبة غير مألوفة ، وتشيران الى أن المكان الطبيعى له يجب أن يكون فى دور العدالة .

ومن الواضح أنه كان يبادئى النظرات ايضا . وأنه كان يفحصنى فحصا مدققا طوال هذه الثواني التى سادنا فيها صمت مثير . . . أذهلنى وهو يقطعه موجه حديثه الى باللغة الانجليزية :
- أظن انك تتحدث الانجليزية ؟ .

- نعم . . .

- ما اسمك ؟ .

- ليو كيوى قو ؟
 - هل تسمى أيضا ليو قو ؟
 - كلا . . فقد اعتاد الناس ان ينادونى باسمى كاملا . . أو . .
 اكيوى قو . . فقط .
 - هل تستطيع ان تكتب اسمك بالصينية ؟ . اكتبه هنا
 بحروف واضحة .
 وناولني ورقة وقلم . . فكتبت اسمى . ولما اعدت الورقة
 اليه . . نظر فيها قليلا ثم قال :
 - محل ميلادك ؟
 - ايبواه . .
 - سنك ؟
 - أربعة وعشرون .
 كان يسجل اجابتي بدقة وعناية لفتت نظري . ووضحت لى
 دقته ومدى اهتمامه بعمله .
 - ما اسم والدك ؟
 - ليو ثيان وون .
 - اين يقيم الآن ؟
 - توفى وأنا فى الخامسة .
 - اين تقيم والدتك ؟
 - توفيت منذ ثلاث سنوات . . فى بداية الحرب .
 - هل لك اقارب على قيد الحياة ؟
 - كلا . . فأنا وحيد . .
 - ماذا ؟ . الست متزوجا ؟
 - نعم . . أنا متزوج . . ولكن زوجتى غادرت المايو قبل بدء
 الحرب بثلاثة شهور .
 - ما اسمها ؟

كنت على وشك أن أقول « لى لان » . ولكننى تداركت فى الحال حين أحسست بما قد يصيبها من ضرر . فنطقت باسم إحدى عماتى . . وقلت « سوفافا » .

— لماذا تركتك زوجتك وهاجرت ؟ .

— انها لم تهاجر . ولم تتركنى . كانت فى حالة صحية سيئة وفضلت أنا أن ترافق بعض أصدقائى لزيارة طبيب مشهور فى الهند .

— وأين هى الآن ؟ .

— لا أعرف . . وآخر ما وصلنى عنها . . كان من بومباى .

— ما عملك ؟ .

— تاجر خطاب . .

— ما اسم متجرك ؟ .

— تاي ليم هوينج . .

كنا قد اتفقنا أنه فى حالة القبض على فى متجر اليم ليو أن أقرر أن المتجر ملك لى — حتى أبعد الشبهات عن الباقين أطول وقت ممكن . وما كنت لأتردد فى سلوك أوعر الطرق لأوفر الوقت لليم ليو ولسوزى للابتعاد عن الخطر .

— كم عدد الرجال الذين يعملون معك ؟ .

— واحد فقط . . يعمل كمساعد لى . .

— ما اسمه ؟ .

— أه سوب .

— أين هو الآن ؟ .

— لا أعرف . .

— أين تقيم عادة ؟ .

— فى المتجر . .

— لماذا وجدنا ثلاثة أسرة فى المتجر ؟ .

— أنا أنا على واحد ومساعدى على الثانى . أما الثالث فكان

العامل تركنا أخيراً وذهب يبحث عن عمل آخر .

- احب ان انبهك الى ان كل ما تقوله سيتم التحرى عنه والتأكد من صحته فى خلال ساعات قليلة .
- اعرف هذا .

- قبض عليك وانت تقوم بطبع النشرة م . س . ي رقم ٤٤ هل تعترف بهذا .. وما المقصود بهذه الحروف ؟ .

- اعترف يا سيدى .. م . س . ي . اختصار لاسم « المنظمة السرية لمقاومة اليابانيين » .
- اذن فانت تعترف بأنها منظمة ؟ .

لم أستطع الاجابة فى الحال .. حين شعرت بالخطأ الذى وقعت فيه . ثم رفع النشرة بين يديه وأخذ يقرأ ما فيها .. وكان صوته يعلو فى بعض المواضع الهامة التى اراد التركيز عليها .
وحين اتم قراءة النشرة .. رفع رأسه ونظر نحوى بثبات وهدوء .. ثم قال :

- اريد الحقيقة يا بنى .. من كتب هذه النشرة ؟ .
- انا ..

فرفع بعض الأعداد بين يديه وهو يقول :
- هل كتبت كل هذه النشرات ؟ .
- نعم .. كتبتها كلها .

- أقدر فيك هذه الصراحة .. والآن تخبرنى .. من يتعاون معك ؟ .

- لا أحد ..

- فقال وقد بدأ يبدو على صوته الغضب للمرة الأولى :
- أقصد من الذى يمدك بالانباء التى تذيعها محطات الاذاعة .. هل تفهمنى ؟ .
- لا أحد ..

- اذن أين جهاز الاذاعة الذى لديك .. أين تخبئه ؟ .
- لا املك أى جهاز .

وبدأت أشعر بالتغيير الكبير الذى بدأ على صوته ، والحقه
الذى ارتسم فى نظرتة وهو يحاول أن يتمالك نفسه قبل أن يقول :
- لا أخالك تعرف من أنا .. والا لكنت أكثر حرصا ..
أنا الكولونيل ساكيتومو رئيس المكتب السرى «كمبيتاى» .. لقد
درست البحث الجنائى فى طوكيو ولندن وبرلين . وعليك إذن أن
تكون حذرا فى اجاباتك . أنا لا أعاملك كمجرم عادى . مع انى
أستطيع أن أدفئك فى التراب دون تحقيق . لقد تتبعته نشاطكم
فترة طويلة . ولا أستطيع الا أن اقرر أن تنظيمكم رائع . وانك
ووفاك .. أقصد رؤساء المنظمة .. رجال على جانب كبير من
الشجاعة والقدرة ، ولكنكم مع هذا سقطتم بين أيدينا .
ثم توقف قليلا قبل أن يتابع حديثه قائلا :

- انتم لا تفهمون .. أو لا تقدرون المهمة المقدسة التى يحاول
شعب الشمس المشرقة أن يؤديها هنا ، ومن حسن حظكم اننا نقدر
الرجال الشجعان . ان حضرة صاحب الجلالة الامبراطور المعظم
لا يحمل اى حقد أو ضغينة حتى للشعوب الغربية ، ولكنه يريد من
هذه الشعوب أن تفهم ان شعوب آسيا لا يمكن ان تعامل معاملة
العبيد والحيوانات .

هذه الحرب ايها الفتى . حرب مقدسة تعلنها شعوب آسيا
للتحرير الشعوب من الذل والعبودية . ولهذا فعلى جميع هذه
الشعوب ان تتعاون معنا ضد عدونا المشترك . فلماذا إذن تعمل
أنت ورفاك ضدنا . بينما الواجب ينحتم عليكم أن تعضدونا وأن
تؤازرونا .. والآن هل تلزم جانب الحكمة والعقل فتوضح لنا كل
ما يتعلق بهذه المنظمة ؟ !

- م . س . س . س . منظمه رجل واحد . أنا هو م . س . س . س .
نثار وهو يرمينى بالغباء والعناد ، فأجبتة بهدوء وأنا أقول :
- أنا لم أقرر سوى الحقيقة .. لقد كتبت كل هذه النشرات .
- نعم .. هذا أمر ممكن . ولكن كيف تحصل على انباء الاذاعة
وانت تقول انك لا تملك جهازا ؟ . وكيف توزع هذه النشرات ؟ .

هل تريد أن تقول أنك ساحر . أو أنك فوق الطبيعة البشرية ؟
هل تعتقد أنني من الغباء والبلاهة بحيث تجعلني أصدقك ؟
وعلى كل حال .. لقد استغرق القبض عليك أكثر من عامين
ولا يمكن أن نحصل منك على كل شيء في دقائق ..
قال هذا وهو ينهض واقفا ويفادر الغرفة . ويتركني لأوكيرو
ليتولى امرى ..

الفصل السابع عشر

كانت الساعة التي تعلو مكتب الرقيب أوكيرو - حين دخلنا
حجرتة - تشير إلى العاشرة صباحا . وكان أوكيرو يجلس خلف
مكتبه ، وهو يتظاهر بقراءة بعض الأوراق الموضوعة أمامه ، ووقفت
أنتظر . ووقع نظري على ما كان موضوعا على المكتب في هذه
اللحظة .. كان مجموعة رهيبة من الأسلاك والخيال ذات العقد ،
وسوطا من الجلد الأسود ذا طرفين . وسوطا آخر أطول حجما ،
وعددا من قطع الزجاج والمسامير الرفيعة المتعددة الأطوال ، وقطعا
مختلفة من الخيزران الرفيع .. وأخيرا جهازا كهربائيا صغيرا وإلى
جواره عدة قطع من الأسلاك الرفيعة المعدة تجهيزا خاصا .

وبميت واقفا حتى أمرني المترجم بخلع حدائي وجوربي . ثم
أمرني بالركوع على ركبتي ، وفي هذه اللحظات كان الرقيب يسطر
بضع كلمات على ورقة أمامه ، ثم أمر ماراكي بأن يستدعي توفان
سوباتا .. فلما وصل هذا .. انحني محييا .. ثم انحني جانبا ..
ووقف ينتظر .. حتى بدأ أوكيرو يصدر إليه تعليماته ، وبعد لحظات
اتجه بإبطارد نحوي .. وتوقف برهة قبل أن يقول بلغة انجليزية
ضعيفة :

– أنت أيها الصينى القذر .. لماذا تتكلم الانجليزية ؟
« باجىرو » .. « خائن » .

كانت نظرتة مخيفة . وكان وجهه ممتعنا . وكان صوته يتميز
من الحقد والفيظ ، وتوقعت بدء العاصفة ، وتوقفت عن الإجابة
وأنا أحاول أن آخذ حذرى فى خطوتى الأولى معه من الحديث معه
حتى تابع حديثه قائلا :

– هل تظن أننى لا أجيد الانجليزية ؟ . أنت أيها العبد
الانجليزى .. يجب أن تشرح جثتك وتمزق قطعة قطعة .

فواصلت صمتى وأنا أراه يحاول إثارتى ليدفعنى الى الخطأ .
وأنظر قليلا يراقبنى قبل أن يتابع حديثه قائلا :

– ها أنت ترى الآن .. العار فى الحديث بهذه اللغة القذرة ..
كا .. « لفظ يابانى يختمون به فقرات الحديث .. بمعنى اليس
كذلك ؟ » . وها أنت لا تريد أن تتحدث بها ! ..

ثم اتجه نحو مساعده – ماراكى – وهو يقول :

– كاروواوت ..

وقبل أن أتبين ما يعنيه بهذه الكلمة .. تقدم المساعد ورفع
السوط بين يديه وانهال به فوق رأسى وظهرى وصدرى . وحين
كنت أحاول أن أرفع يدى لأقى بهما رأسى ، كانت ضرباته تزداد
وتشتد . وحين سقطت على الأرض أخذ يركلنى بقدميه فى كل
جزء من جسمى وأنا أتلوى الما ..

وفجأة صاح أوكىرو يأمره بالتوقف .. ثم وجه الى حديثا
وهو يبصق فى وجهى بالطباق الذى كان يمضغه ؛
– تتكلم الانجليزية الآن ؟ .

فاستدرت نحو المترجم وقلت :

– بما أننى صينى الجنسية .. فأنا أفضل الحديث بلغتى
الصينية ، وما كنت أتحدث الانجليزية مع القائد الا لأنه اراد ذلك .

ولما ترجمت كلماتي للرقيب ثار وهو يقول :
- اذن لماذا لم ترد على حديثي انا ايضا بالانجليزية ؟ . من
تظن نفسك . . باجبرو ؟ .
وعاد المساعد الى سوطه . . وانهال به على . . وكان يزداد
قسوة وشدة كلما رآني صامتا اتحمل الالم الذي كنت اتكتمه .
ولم يتوقف الا حين وصل الى اسماعنا صراخ عال . . كان
واضحا ان مصدره ضحية اخرى في نفس المبنى . . فقام اوكيرو
بعدها وغادر الحجرة . وبعد دقائق قليلة عاد الى الحجرة ، واخذ
يستجوبني وهو يقول :
- يجب ان تطيع الشرطة والمباحث السرية . وأنا ارى انك
رجل عاقل وتقدر ما يمكن ان يصيبك . . كا . . « اليس كذلك ؟ »
والآن من هم الرؤساء في المنظمة . . من هو الرئيس ومن هو
التالى له . ومن هو الثالث . والرابع ؟ .
- م . س . س . ي . عبارة عن رجل واحد . انا وحدي م . س . ي .
الرئيس والتالى والثالث والرابع .



فانفجر وهو يفادر مقعده ويسحب قطعة من الجبل مملوءة
بالعقد وينهال بها على وهو يقول :

— هل تريد أن اضربك بهذا حتى أقضى عليك ؟ .

“وعدت أحاول إن أقي رأسي ووجهي من ضرباته فركلني بقدمه
أسفل صدري فسقطت أرضا .. فتابع ركلي بحذائه ، ثم عاد الى
الجبل ينهال به على ، وحين شاهد دمي ينزف من خلف أذني ومن
رقبتي ويفمر قميصي ويخضبه .. ازدادت ثورته ، ولم يتوقف حتى
شعر بالتعب والاجهاد بعد أن أصبحت في حالة يرثى لها .. رأسي
يكاد ينفجر وأنفاسي تتلاحق بشدة وعنف ودمي ينزف ولا يستطيع
وقفه ، وكل جزء في جسدي شبه محطم .

ثم جلس على مقعده وأشعل سيجارته قبل أن يتابع استجوابي
قائلا :

— أين جهاز الأذاعة ؟ .

— لا أملك أى جهاز ..

— أين مقر رئاسة المنظمة ؟ .

— أنا الرئاسة .. وأنا كل شيء في المنظمة .

— أندرك بسوء العاقبة وأعطيك فرصة أخيرة ..

— لقد قلت الحقيقة ولم تصدقوني .

فهب واقفا وهو يلتقط حبلا مفتولا من فوق المكتب . وأخذ
ينهال به فوقى . ورأى مساعده أيضا ألا يكون أقل رغبة منه في
تأديبي ، فعاد بسوطه يمزق جسدي .

وهكذا كانت الأسئلة توجه الى .. وكانت أجابتي عليها تثيرهم
وتفضيهم فيتابعون تعذيبى حتى تخور قواهم أو يروا أن ما نلته
من عذاب لا بد أن يكون قد الان عريكتى . واننى بعد كل هذا الذى

أصابني لا شك مدح لهم بكل ما يريدون . ولكنني لم أتكلم حتى
سقطت مفسيا على ..

وحين تنبعت الى نفسي تبينت اننى أرقد وحدى فى غرفة
ضيقة ... وحين حاولت النهوض من فراشى وجدت صعوبة فى
الحركة ... وشعرت بألم يعصرنى فى كل موضع من جسمى ...
وكانت ثيابى كلها مخضبة بدمى ... وكنت أشعر بظما شديدا
... وحاولت أن أنادى الحارس وأنا استجديه قطرة من الماء ،
ولكنه ابتعد عن باب الحجرة متجاهلا ندائى ..

وبقيت وحدى أقاسى آلامى وأنا أنتظر عودتهم بين لحظة وأخرى
وفى لحظات انتظارى التى طالت ... اتجه تفكيرى الى أن حاول
خدعهم ببعض البيانات التى قد تبعدهم عن ايدائى ... ولولساعات
ولكنهم جنبونى هذه المحاولة بأنهم لم يعودوا الى ثانية هذا اليوم ،
وعند الغروب امتدت يد من أسفل باب الغرفة تدفع انا
صفيرا من الأرض المسلوقة وقدحين من الماء . وكان فى فرحتى بهذه
الوجبة ما أنساني آلامى الى حين .

وحاولت الرقاد فلم أستطع اليه سبيلا .. لأن جراحى كانت
تملا جسدى فى كل جزء منه .. ولم أجسد جنبا أرقد عليه بغير
الم .. وزاد الطين بلة .. لسع هذه الحشرات اللعينة التى بدأت
تهاجمنى .. البعوض .. البق .. حتى الصرصور والنمل جذبتها
رائحة دمي فسعت الى جراحى حيث المائدة شهية .. وهكذا بقيت
الليل بطوله ساهرا أحاول إبعادها عن جسدى .

وقبل الفجر دوى انذار عال يأمرنا جميعا ... بالنهوض ...
وحمل صفيحة المخلفات الى الخارج . ومن فتحة صغيرة أسفل الباب
دفعتها أمامى وزحفت خلفها حتى وصلت الى الردهة ، وسرت مع
غيرى فى طابور الى الخارج ، وفى المكان الذى حددته الحارس
ألقيت بالمخلفات ... ثم أمرنا بتنظيف الصفيحة من نبع مياه

قريب وانتهزت الفرصة لأغمر وجهي ورأسي بالماء . . . وكان
جزائي ركلة قوية أطاحت بي بعيدا .

ومضى اليوم . . وفي المساء تنبهت الى المناسبة . . وعلمت
لماذا لم يحضر اوكيرو ؟ . ليتابع استجوابي والتمثيل بي بعد ظهر
الأمس واليوم .

لقد كان لديه ما يلهيه عنى . . وهو يحتفل بعيد رأس السنة
الجديدة .

الفصل الثامن عشر

وبقيت وحدي صباح اليوم التالي أيضا ، وتوقعت أن يكون
اوكيرو يعاني الكثير . . بعد سهرة الأمس ، كم تمنيت لو تحل
به أمراض الدنيا كلها . . وتقضى عليه الخمر التي تجرعها . .
ولكنني فوجئت بطلعته الكثيفة ، حين استدعيت لمقابلته بعد ظهر
هذا اليوم . . وكان يجلس الى مكتبه ، والى جواره يقف رجل صيني
لم أميز وجهه . . وأمرنا بالتحية . . فأديناها . . وبقي هو منكبا
على أوراقه لحطات . . وحين رفع رأسه . . كانت آثار سهرة
الأمس بادية على وجهه المغضن . . وعينيه الحمراءوين . . وهما
تكادان تنفجران شررا . . فتأكدت أن حالته هذه . . لا تبشر
بالصبر . . أو الهدوء ، وتوقعت أن تكون معركته معي اليوم . .
أشد ضراوة وقسوة . . مما كانت عليه في المرة الأولى . .

وأدهشني أن يوجه حديثه الى اليوم باللغة اليابانية - بدلا من
الانجليزية التي أوسعني ركلا وجلدا حين رفضت أن أتحدث بها -
ولما أنهى حديثه ، قام المترجم بنقله الى فقال :

- يريد السيد أن يعرف هل ما زلت تصر على أنك - وحدك -
صاحب هذا المتجر •

- نعم يا سيدي •• أنا وحدي •

- ما قولك في أن السجلات الرسمية تشير إلى أن المالك هو
ليو كام ؟•

- ليو كام •• اسم آخر أتسمى به أحيانا •

- كم تبلغ من العمر ؟•

- خمسة وعشرين •

- اذن لماذا حددت السجلات عمر ليو كام بخمسة وأربعين ؟•

لم أستطع الاجابة على هذا السؤال المفاجيء - بسرعة ••
و حين عجزت •• تابع المترجم أسئلته فقال :

- فلنفرض مجازا أنك ليو كام •• أين تقيم اذن ؟•

- أقيم في المتجر •• متجر الحطب •

- وبخلاف متجر الحطب هذا •• ألا تقيم في مكان آخر ؟•

- كلا •

فصاح ينعتني بأشنع الصفات •• وهو يقذف في وجهي بطاقة
صفراء •• وحين التقطتها •• لاحظت أنها البطاقة العائلية الخاصة
بالعم ليو •• فعجزت عن الكلام •• وأنا أرى أوكيرو وهو يلعب ••
وبين يديه أوراق كثيرة رابحة •• وتأكدت أنهم قد وصلوا إلى متجر
العم ليو •• وأنهم قد فتشوه •

واستمر أوكيرو لحظات يقلب الأوراق بين يديه •• ثم قال :

هل تعرف من يقيم في المتجر المجاور لك ؟• إلى اليمين ؟•

- لا •

- اذن لماذا هربوا جميعا بعد أن تم القبض عليك ؟

- اسألوهم أنتم ..

وهنا تارت نائرة أو كبرو ، وانفجر وهو يصرخ بصوت عالٍ ..
والكلمات تنطلق من فيه كما لو كانت طلقات مدفع رشاش ..
تاركة خلفها وميضاً من نار .. ولما سكنت ، انحنى المترجم نحوى
انحناء طويلة ثم اعتدل وهو يقول :

- انهم من جرذان الغابة .. ولهذا تنكر معرفتك لهم ..
وتتصل من علاقتك بهم . لن تنجح فى خداعنا أيها الكلب ..
فلدينا ما يثبت صلتك بهم ..

ثم توقف المترجم قليلا ليستمع الى تعليمات أو كبرو .. قبل
أن يتابع ترجمتها الى ويقول :

- لقد أمهلناك أكثر من يومين .. ونحن نأمل أن تتسدارك
موقفك .. وأن تقدر ما أنت فيه من خطر .. وأن تثوب الى رشدك
.. فهل ستتعاون معنا .. أم لا ؟

توقفت لحظات قبل أن أجيب على سؤاله .. وكنت أشعر
بالسعادة لأمرين .. أولهما تأكيدى من هروب العم ليو وسوزى
فى الوقت المناسب .. وثانيهما ثقتى من عدم توافر أى دليل لديهم
يثبت علاقتى بأصحاب هذا المتجر .. والا - فلماذا هذه الأسئلة
عنهم ؟ ثم قطع أو كبرو على لحظات سعادتى هذه وهو يصرخ
قائلاً :

- تكلم .. يا جارو ..

- نعم يا سيدى ! كيف تريدون أن أتعاون معكم ؟

فنظر الى الشرر يندلع من عينيه ثم قال :

- أولا يجب أن تعترف بكل شيء .. وأن تتبرأ من هذا
التنظيم القذر . وإذا كنت صادقاً فى نياتك هذه .. فيجب أن

تذكر لنا أسماء قادة هذا التنظيم السرى .. وأن ترشدنا الى كل
من تعرفهم من الجواسيس والحسونة الذين ينتشرون بيننا ..
ويعملون ضدنا .. وتأكد بعد ذلك أننا سنؤمن لك الحرية ..
والسلامة .

- لقد أعلنت للقائد أننى أعمل ضد اليابانيين .. لأنهم قتلوا
أسرتى وعذبوا قومي- !! .. وانى أقمت هذا التنظيم .. لأرشد
قومي وأنير بصيرتهم الى ما تفعلون بنا ، وأؤكد لكم للمرة العاشرة
.. أننى أعمل وحدى . لقد قبض على وأنا أطبع النشرة .. وأنا
وحدى لذلك .. الذى استحق الموت ، فكيف ترغموننى على اتهام
الأبرياء !!

- اننى أمنحك الفرصة الأخيرة .. فهل لديك ما تريد
تصحيحه .. أو ايضاحه ؟

- كلا يا سيدى .

حينئذ أمرنى المترجم أن أخلع ملابسى ، وجاء من قيد وثاقى
.. ثم دفعونى خارج الحجرة وسرت بين الحرس حتى الحديقة
.. وهناك أوقفونى بجوار شجرة سرو عالية ، وأمرونى بالرقاد
على صدرى ، ثم قيدوا ساقي حول جذع الشجرة .. ثم انهالوا
فوق ظهري بالسياط .. وكلما اهتز جسدى وتحركت قدمائى
زاد احتكاك جلدى بجزع الشجرة .. فكان عذابى بذلك يتضاعف
من جراح ظهري .. وتسليخ جلدى . وكنت أفقد شعورى وسيطرتى
على نفسى ، وأحسست شيئا فى خاطرى ينزع الى الاستسلام
والاعتراف .. وأنا أرى حياتى معلقة فى خيط رفيع .. يمكننى
أن أحول دون تمزيقه .. لو تكلمت . لكننى سمعت من أعماق
أصواتا تهتف بى .. انها أصوات زوجتى .. لى لان .. والعم ليو
.. وسوزى .. وكلها تصيح قائلة :

- ليو فونج .. تماسك .. وتحمل . ما قيمة الحياة ..
بعد أن تخون من ائتمنوك على سرهم .. وحياتهم ..

فصحت دون وعى أقول والسيّاط تنهال فوقى بلا رحمة !

- أبداً .. محال .. محال .. أن أخونهم .. أو أشى بهم

ثم غبت تماماً عن وعيى .. ولا أدري ما أصابنى بعد ذلك

وحيث فتحت عيني تنبهت تدريجياً الى نفسى وأنا أرقد على صدرى فوق قطعة من المشمع مثبتة من أطرافها الى أربعة أعمدة من الخشب .. والى جوارى كان يقف شاب هندى فى ثياب بيضاء .. وفى بادىء الأمر نصورت أننى فى المستشفى .. ثم تنبهت بعد ذلك .. الى أننى فى حجرتى .. وقد نصبوا هذا الفراش ليساعدنى على تحمل آلام جراحى .. كانوا ينادون هذا الرجل ذا الرداء الأبيض بقولهم « دكتور » .. ولما أخذت أحاول النهوض أمرنى بالرقاد وهو يقول :

- لا تحاول الحركة .. فجسدك كله ممزق .. ولحسن الحظ ان عظامك بقيت سليمة ..

- ولماذا أشعر بهذا الضعف يا سيدى ؟

- أولاً .. لما نرف من دمك .. وثانياً لأنك لم تتناول أى طعام خلال اليومين المنصرمين .. فقد كنت خلالهما نائماً بتأثير المنوم الذى أعطيته لك ..

أدهشى أنهم لم يجهزوا على .. وأنهم تركونى فى رعاية طبيب يحاول انتقاذى ، ولكننى حين تذكرت قيمة حياتى بالنسبة اليهم ، ومدى حاجتهم الى حتى يستخلصوا منى كل ما يريدون .. زالت عنى كل دهشتى ..

وحيث قام الطبيب بتضميد جراحى .. كدت أجثو تحت قدميه وأنا أرجوه أن ييسر لى سبيل الموت والخلاص .. فقرص واحد من أى مادة سامة .. سيحقق رجائى .. دون أن يشعروا بما يحدث .. ولكنه تجاهلنى .. وتظاهر بأنه لم يسمع ما قلت ..

وبعد لحظات سأل ماراكي - وكان يقف معنا .. أن يحضر بعض الماء الساخن - فلما انصرف أقبل الطبيب على وهو يقول :

- خذ حذرك يا بني .. فهذا الرجل يفهم الانجليزية أيضا .. وهو يراقبنا .. فأنت متهم .. وأنا أسير حرب .. فإذا أنت مت فلن يتركوك وشأني بعد هذا الحديث .. أرجوك ألا تتكلم معي .. بعد ذلك .. الا للإجابة على ما أوجه اليك من أسئلة .. فالمكان مليء بالجواسيس ..

ولما عاد ماراكي .. وقف يراقب الطبيب .. ويتابع ما يفعله معي .. واستمر علاج الطبيب أكثر من أسبوعين .. وكان ماراكي - أو غيره من الرقباء - يرافقه دائما كظله ..

وفي اليوم الأخير ، قدم الدكتور سبدين .. وبعد أن وقع الكشف الأخير على .. هنأني بنجاتي ، وبشرني بقرب شفائي ، فشكرت له فضل رعايته . وتظاهر بأنه يبحث عن دفتر السجل الذي يقيد فيه ملاحظات مروره اليومي ، ولما لم يجده رجا ماراكي أن يحضره له من الحقيبة التي تركها بالعربة .. فلما خرج .. فاولني الطبيب زجاجتين وطلب مني أن أخفيهما تحت فراشي وهو يقول :

- الزجاجاة الكبيرة بها سائل له رائحة نفاذة كفيلة بإبعاد أي حشرة عن فراشك .. اذا سكبت بضع قطرات صغيرة منها على أطراف الفراش قبل النوم . والثانية بها بعض أقراص السلفا .. وأنت تعرف متى تحتاج إليها ! ..

ولما عاد ماراكي بالسجل تناولة الطبيب وتظاهر بالكتابة فيه .. ثم غادر الغرفة .. بلا كلمة وداع .. أو تحية ..

وفي اليوم الثالث والعشرين لي .. بين جدران هذا السجن .. دعيت لمقابلة الجزار أوكيرو - للمرة الثالثة - فرمقني بنظرته

الفاحصة ، وبدا السرور على وجهه وهو يرانى وقد فقدت الكثير
من قوتى وجهدى وبان هزالى .. وتوقف لحظات قبل أن يقول :

- من المؤسف أنك لم تمت ..

قالها ومظاهر الجد بادية على صوته ، ثم أشار الى السوط
الذى يعلو مكتبه ، وتابع حديثه قائلا :

- لقد أتى هذا السوط على خمسة عشر من أمثالك .. واعتقد
أنك ستكون السادس عشر .

لم أنطق بكلمة ولم أعلق على حديثه .. فأغاظه صمتى ..
فقال :

- ما زلت عنيدا .. يا جيرو .. ألم تتحطم معنوياتك بعد ؟

- أنت تعلم أنني عاجز تماما .. فكيف أستطيع مقاومتك ..

وقبل أن أتم حديثى طرق طارق باب الحجرة المواجه لأوكيرو
وهو يستأذن فى الدخول .. فأذن له ، ولما استدرت بالغريزة أنظر
الى القادم ، ذهلت وصدمت وأنا أشاهد هاليسمات .. زميل
كفاحى ، ولا يد أن يكون هو الآخر قد ذهل .. حين شاهدنى ..
فقد بدا واضحا على وجهه أنه أخذ .. وفوجئ .. ولم يخف هذا
عن أنظار الثعلب أوكيرو .

وتدارك هاليسمات مسرعا ، وتغلب على شحوب وجهه وهو
يتقدم لينحنى أمام أوكيرو .. ويقول :

- أمرت يا سيدى أن أصطحب بعض المسجونين الى باتوجاجا
.. وقد جئت أبحث عن الضابط المنوب ..

قال هذا وهو يقدم خطاب اعتماد يحمله فصرخ أوكيرو يقول:

- اذهب الى الجحيم أيها الغبى .. من الذى أرشدك الى هنا ..

وحين انحنى هاليسمات محييا لينصرف ، أوقفه أوكيرو وهو يقول :

- هل تعرف هذا الرجل ؟

- كلا يا سيدى .. لم أره قبل هذه اللحظة .

- أنظر جيدا الى هذه الأفعى ذات الرأسين .. وراجع ذاكرتك جيدا .

فخطا هاليسمات خطوات نحوى وهو يدقق النظر فى ..
وكنت أشعر أننا نتبادل الحديث فيما بيننا صمتا .. وأنه يحمل
الى تحية اخوانى ورفاقى .. واننى أؤكد له عزمى على الصمود ..
مهما كان الثمن - وبعد لحظات رفع رأسه نحو الرقيب أوكيرو وهو
يقول :

- حقيقة يا سيدى .. هذا الوجه غريب على .. ولم أره من
قبل .

- ماذا ترى فيه ؟

- لا بد أن يكون مجرما عتيدا .. والا لما أتوا به الى هنا ..

- اذن أرنى كيف تعامل هذا المجرم ؟

قالها وهو يقدم السوط الى هاليسمات .. ويراقبه بنظرة
ماكرة ، وتردد هاليسمات قليلا .. قبل أن يلتقط السوط بيده
اليسرى - بدلا من اليمنى - وأخذ ينهال به فوق ظهرى وكتفى
وهو يقذفنى بأقذع الشتائم .. ولكن أوكيرو قام فجأة وانتزع
السوط من يده وأخذ يضربنى وهو يقول :

- اضرب هكذا أيها الغبى .. بيدك اليمنى .. وأره كيف تكون

لذعات الشياط ..

وعاد هاليسمات الى السوط .. يتظاهر بقربى ولا يستغل
نصف قوته - حتى صاح أو كبرو يقول :

- اركله بقدمك .. وابصق فى وجهه بشسدة .. إذا كنت
حقيقة لا تعرفه ..

فقال وهو يفعل ما أمر به :

- أقسم يا سيدى اننى اشاهد هذا المجرم الآن للمرة الأولى .
وحين. أمره بالانصراف - شعرت بنظراته .. كما لو كانت
تحدث الى .. وتشجعنى على التحمل .. وتعتذر الى .. عما
حدث . وتأكدت وأنا أودعه بنظراتى - أن حضوره لم يكن اعتباطا
.. وأن المنظمة والعم ليو .. وونج تى .. أرادوا جميعا أن يعرفوا
أخبارى .. وأن يطمئنوا على صمتى .. وأن يشجعونى ويؤازرونى
.. بصورة ما .. فى موقفى العصيب هذا .

ولما غادر هاليسمات الغرفة عاود أو كبرو استجوابى فقال :

- هل تريد حمام المعدة أيها الخائن ؟

فأجبتة بالنفى وأنا أذكره بتعلييمات الطبيب الذى كان قد
حذره من الاقدام على هذه الخطوة معى .. فأجابنى قائلا :

- اذن تكلم .. وتعاون معنا .. وسأكافئك بوظيفة طيبة فى
المباحث ..

ولما كنت قد قررت أن أحاول كسب الوقت .. وأن أعمل
على خدعه ، قلت له :

- كيف يكون تعاونى كاملا يا سيدى .. وأنا على هذه الحال
البالغة السوء ؟

- هل قررت اذن أن تتعاون معنا ؟

- نعم يا سيدى .. وقد بدا لى واضحا الآن مدى الخطأ الذى ارتكبته .. وأريد أن أغير سلوكى .. وإن أتعاون معكم .

فأمرنى أن أسجل اقرارى هذا كتابة ، ثم تناول الاقرار وهو يشعر بالزهو والفخار .. بالنصر الذى حققه معى .. بعد أن عجز قائده عن الوصول الى هذه النتيجة معى . وطوى الورقة بعناية وهو يقول :

- كم يسعدنى أن تعود الى عقلك .. سأوفر لك الراحة والغذاء لتسترد قواك بسرعة .. وبعد ذلك ستخبرنا بكل شىء .. كاه .. (أى أليس كذلك ؟)

- نعم يا سيدى .. بعد أن استرد قواى .. فراسى يدور الآن .. وأشعر بأننى على وشك السقوط ..

الفصل التاسع عشر

التزم الرقيب أوكيرو بوعدده معى ، ووفر لى الفراش المريح ، والغذاء الدسم ، وهو يمنيئى بالمزيد .. اذا أظهرت حسن نيتى واستعدادى للتعاون الكامل . ومع كل ذلك ، لم أذق طعم الراحة ولم أنعم برقاد هادىء .. وأنا أشعر بنتائج هذه اللعبة الخطرة التى بدأت أمارسها .. أتوقع اليوم الذى يكتشف فيه أوكيرو خدعتى .. واتنبا بما سيصيبنى .. خاصة وأنا أستمع طوال ساعات الليل .. الى أنين ضحايا أوكيرو .. وزبائنه ..

ومضى أسبوع وأنا أنعم بهذه الرعاية ، وذات صباح قدم ماراكى ليصحبنى الى حيث ينتظرننا أوكيرو .. وفى الطريق - وقع نظرى على اثنين من المساجين الهنود .. كنا نتعامل معهما ، ونشترى منهما حاجتنا من الورق لاعداد النشرات . وفى الحال .. اتضحت

الحقيقة أمامي ، وتبينت كيف وصل أوكيرو .. إلينا ، فلا شك
أنهما - بعد أن وقعا بين يدي أوكيرو .. وأصابهما ما أصابني
من تعذيب - انهارا واعترفا بكل من يتعامل معهما . فبدأ أوكيرو
بعد ذلك يراقبنا .. ويتتبع خطانا .. إلى أن وقعت أنا في
قبضته .

وحين وصلت إلى مكتب أوكيرو تلقاني ببشر وترحاب وهو
يقول :

- أرجو أن تكون قد تماكنت قواك .. ونشط ذهنك ؟

- نعم يا سيدي والفضل لكم ولحسن رعايتكم .

- يوروشي « جميل جدا » .. والآن .. من هم القادة ؟
بالترتيب هكذا .. رقم ١ .. رقم ٢ .. رقم ٣ .. رقم ٤ .. الخ .

كنت قد أخذت أهبتى لهذه اللحظة .. وكنت قد حدثت كل
ما سأقوله بالتفصيل ، وراجعت ما سادلى به .. مرارا ، حتى لا
تخوننى ذاكرتى لحظة أثناء التحقيق ، وحتى لا أسقط فى شرك
قد ينصبه لى أوكيرو ، حين يحاول اختبار مدى صدقى .. فقلت :

- سأتكلم يا سيدي بصدق .. وولاء .. رقم ١ .. وولونج
(الدراجون الأسود) ، رقم ٢ .. تاما (الحصان الكبير) ، رقم ٣
فى سا (الثعبان الطائر) .. وأنا .. رقم ٤

- وماذا يطلقون عليك أنت ؟

- فوشين (السهم المشتعل) .

- يوروشي (جميل جدا) .. أسماء معقولة .. تماما كما كان
يفعل أجدادنا .. مع أبطال وعظماء بلادنا ..

ثم بدأ يسألنى عن وولونج ؟ عن اسمه الحقيقى ، أوصافه ،
محل ميلاده ، زوجته ، أبنائه ، والديه ، محل إقامتهما ، أشقائه .

وأقاربه ، اللغات التي يعرفها .. وغير ذلك من بيانات مستفيضة
.. ثم انتقل الى تاما ، ثم فى سا .. ثم المنظمة ..

وكان يسجل كل ما أقوله تسجيلا دقيقا . ثم أمرنى بعد ذلك
.. أن أسجل كتابة - باللغة الصينية التي أجيدها - كل ما ذكرت
من بيانات عن الأفراد الثلاثة ، وعن المنظمة . ولما انتهيت وتمت
الترجمة الى اليابانية .. أخذ يقارن ما كتبت بما كان قد سجله ..
.. ويعاود الأسئلة فى بعض البيانات .. ليقرن للمرة الثالثة
.. أو ليحاول الحديعة والايقاع بى ان كنت مضللا ، فلم أخطئ
أبدا سوى فى بعض البيانات الجزئية الخاصة بالوالدين .. أو
الأقارب .. وكنت أعتذر بأن أعضاء المنظمة لا يتدخلون فى الشئون
الشخصية الخاصة بغيرهم من الأعضاء . وقبل أن ينهى أسئلته
فاجأنى بقوله :

- والآن .. كيف تثبت لنا صدق اعترافك ؟ ..

- ماذا يفيدنى - وأنا سجين بين أيديكم .. أن أحاول
تضليلكم ؟

- ولماذا تتعاون معنا الآن ؟

- أنا بشر يا سيدى ، أنظر الى .. والى جلدى ، جلد الرجل
الصينى كجلد الرجل اليابانى .. من لون واحد .. والصينى
واليابانى من معدن واحد ، ومن أصل عريق ، ونحن أخوة فى
الدم .. وفى الجسد .. وأنا أشعر الآن بذنبى العظيم ، وبأن
واجبى هو أن أتعاون معكم .. مع أخوتى أبناء الشمس المشرقة ..

- يوروشى .. والآن ، قل لنا أين تخبىء جهاز الاذاعة ..

- حين هاجمتم ملجأنا فى الكهف ، منذ أكثر من عام مضى ،
حمله وولونج معه ، ولا أدري أين ذهب به ! ..

فقام واتجه نحو الخريطة المعلقة على جدار مكتبة .. وهو يقول :

- وضع لنا على هذه الخريطة .. موقع الكهف ..
فتظاهرت بدراسة الخريطة .. ثم أشرت الى موقع تقريبي لمنطقة الكهف ، فأبرقت عيناه وهو ينظر الى الموقع الذي حددته ، ثم عاد الى مكتبه وفتح ملفا كان أمامه وأخذ يقلب صفحاته .. ثم توقف يقرأ .. ويراجع ما فيه من بيانات عن الكهف .. ويقارنها بما ذكرت .. ثم توقف فجأة .. واستدار نحوى وهو يقول :

- هل كنت فى هذا الكهف حين هاجمته قواتنا ؟

- كلا .. فقد كنت فى ايبواه .

- اذن كيف علمت بأن الكهف قد هوجم ؟

- من خطاب أرسله وولونج الى .. بعد حوالى شهر من وقوع الهجوم ..

- ماذا فعلوا بالسلاح الذى استولوا عليه ؟

- حملوا بعضه معهم .. ودفنوا ما تبقى .

- أين دفنوه ؟

- أسفل شجرة سرو عالية تقع خلف رابية تمتد على يسار الكهف .

- كيف عرفت هذه البيانات ؟

- من خطاب وولونج .

- أين مقر وولونج الجديد ؟

- لم يذكره لى فى رسالته .

- لماذا لم تسأل حامل الرسالة ؟

- من عاداتنا ألا نسأل أسئلة . . وخاصة اذا كانت عن الرؤساء .

- كيف يتم التعارف بينك وبين الرسول ؟

- نستخدم كودا خاصا (كلمات سر متفق عليها) .

- كيف ؟ . . .

- يأتي الرسول الى متجرى . . ويقول مثلا . . انه يريد شراء خشب ، فأسأله عن نوعه ، فيقول . . أحسن أخشاب الموسم ، فأسأله كم قطعة يريد ؟ فيقول . . ثمانين قطعة ، وحين أسأله لماذا يريد بها . . يقول انه مقاول بناء . وبعد أن يطلب معاينة الخشب ، أصبحه الى حجرة خلفية فيدلى الى برسالته . والكود هنا هو . . أخشاب الموسم ، وثمانين قطعة ، ومقاول بناء . وطبعي . أن هذا الكود يعدل كل فترة مناسبة . .

- من هم رجالك في ايبواه ؟

- آه تنج فقط .

- وما دور آه سوب ؟

- انه مساعدى فى المتجر فقط . . ولا صلة له بالمنظمة . . ولا يعرف عنها شيئا .

- كيف يحصلون على الورق ؟

- كنت اشتريه من تاجرين من تجار الورق الهنود .

- ما اسمهما ؟ . .

- أعرف الأول باسم سيفام . . والثانى باسم كوتوبو .

وأخسذ يراجع هذه الأسماء على البيانات الموجودة أمامه ؟
وسمعتة يردد الاسمين مطمئنا .. ثم يقول :

- هل تستطيع التعرف عليهما .. اذا شاهدتهما ؟ ..

- أعتقد ذلك ..

- هل هما أعضاء فى المنظمة .. وهل يشتركان فى توزيع
النشرة ؟

- كلا .. وهما لا يعرفان حتى سبب شرائنا هذا الورق .

ثم أمرنى أوكيرو بأن أعيد كتابة كل قصتى التى ذكرتها ..
عن تاريخ حياتى ، وعن الزعماء ، وعن المنظمة .. فأوضحت له
أن هذا العمل يتطلب تركيز الذهن حتى لا أدلى ببيانات مضطربة
ويتطلب أيضا مساحة من الوقت حتى أستطيع انجازة بصورة
مرضية ، فوافق على امهالى أربعة أيام .. واستدار نحو المترجم
يلقى اليه بتعليماته . وحين عدت الى حجرتى قدموا الى كل ما أحتاج
اليه للكتابة .. ومن بينه عشر قطع من الورق .. كانت سلسلة
الرقم .. موقعة بتوقيع أوكيرو .. مختومة بخاتم المباحث ،
وأمرنى بعدم تمزيق أى ورقة منها .. وبإعادتها جميعا كما هى
.. وعدم كتابة أى مسودات أو بيانات على أى ورقة أو بوسيلة
أخرى . فضحكت فى نفسى وأنا أبحث وأتساءل عن هذه الورقة
.. أو هذه الوسيلة الأخرى .. وأين أجدها !

وعكفت على التقرير أعده ، وأنا أراعى ألا أخرج عما سبق
أن قدمته من بيانات ، وفى الموعد المحدد قدمته الى المترجم .

ومضت ثلاثة أيام .. دون أن أدعى الى مقابلة أوكيرو أو
غيره . وفى اليوم الرابع قدم المترجم يدعونى الى مرافقته ..
وخرجت معه .. وكانت المفاجأة الكبرى حين تجاوزنا غرفة أوكيرو

« واتجهنا نحو غرفة ساكيموتو (رئيس المكتب) ، وحين وقفت امامه نظر الى بوجه عبوس - على غير عادته - ثم قال :

- يوسفنى أنك سلكت طريقا وعرا .. لن تقدر على تحمل نتائج ، فأنت أعظم من يؤلف القصص الخرافية . خذ مثلا .. رولونج ، وتاما ، وفى سا ، وفوشين ، من يستطيع أن يثبت لى أنهم أحياء ؟ حتى قصة حياتك .. وقصة المنظمة ، ونشأتها .. كيف تثبت صدق ما جاء فيها ؟ كيف تثبت لنا أنك لم تذكر سوى الحقيقة .. وأن ما قلته لم يكن سوى أكاذيب ؟ مطبوخه بعناية ! . انت ثعلب ماهر .. يمزج الحقائق بالأكاذيب بدهاء وخبث بالغ ، فقصتك عن الكهف حقيقية ، وقد عثرنا فعلا على الأسلحة المخبأة . وقصتك أيضا عن بائعى الورق صحيحة ، وهما فى قبضتنا فعلا .. أما باقى القصص التى كتبتها .. فهى مجموعة منسقة من الأكاذيب ، ولقد أكدت لنا تحرياتنا أن منطقة « كيناتا » - بل « بيراك » كلها .. لم يسمع فيها أبدا عن أشخاص يمثل هذه الأسماء الخرافية .. فما قولك ؟ ..

- أوكد لكم يا سيدى أننى لا أعرف الأسماء الحقيقية .. وهذا أسلوبنا فى المعاملة دائما .. خشية أن يعترف أحد الأفراد على الآخرين مضطرا .. أو يرشد عنهم .

- مبرر قوى لا شك .. وأوافقك عليه . لقد حاولت أن تتعاون معنا ، وهناك تغير ملموس فى موقفك ، وهو تغير ضعيف ، وقد يبشر بالخير ، ولكنك ما زلت تخفى عنا أمورا هامة .. وهذا ما لا نريده .. وأنت بهذا لا تخدع سوى نفسك .

- أنا لا أخفى عنكم أى شيء .. ولقد ذكرت الحقيقة كلها .
- اذن لماذا لم تخبرنا بوجود ضباط انجليز يعملون فى المنظمة ؟ ..

تلقيت هذا السؤال كطعنة خنجر موجهة الى الصدر . فقد أذهلنى أن يعرف أن هناك ضباطا أو عساكر انجليز .. هل هى

نخدة أطلقها ؟ • ولكننى عدت بذاكرتى بسرعة الى يوم معركة
الكهف ، وتذكرت أن بعض جنودهم كانوا قد تمكنوا من الفرار ••
ولا شك أنهم قد ادلوا بتقاريرهم عن المعركة •• وأشاروا الى ما
شاهدوه •• أو تعرفوا عليه •• فتمالكت نفسى بسرعة وأنا أجيب:

- لم يسألنى أحد عنهم قبل الآن ••

- الرجل الذى يريد أن يتعاون بإخلاص يجب ألا تفوته
صغيرة أو كبيرة •• يدلى بها •

- انهما مجرد عسكريين •• وليسا ضابطين ، كانا قد فقدنا
طريقهما أثناء انسحاب وحدتهما • وأنا شخصيا لم أقابلهما ••
ولم يذكر لى ولونج أى شىء عنهما •

- قصة مضحكة • لقد هاجمتنا قواتكم فى منطقة بيراك
عشرات المرات ، ودمرت الكثير من المنشآت ، وتكتيكاتكم فى القتال
لا يمكن أن تكون وليدة خبرة أى فرد منكم ، اذ لا شك أن وراءها
عقولا بريطانية •• خططت ودربت ، وليس من المستبعد أن تكون
قد اشتركت فى هذا العمل ؛ فهل أنت مصمم بعد ذلك •• على
أنهما مجرد عسكريين •• وليسا ضابطين •

- سيدى يعلم جيدا أن منظمنا ليست الوحيدة التى تعمل
فى منطقة بيراك • وهناك غيرنا •• كثيرون ، وأؤكد لسيدى ••
أن كلا منا يعمل وحده ، وأنه لا يوجد أبدا ما يربطنا ببعض على
الاطلاق •

- لا أصدقك •

قالها بهدوء وهو يفتح درج مكتبه ، ويستحب شيئا منه
ويقول :

- هل تتذكر هذه ؟•

وكانت دهشتى البالغة حين ميزت هذا الشىء •• وكان ساعة

يئس وسوارها ، وازداد اضطرابي وقلقي وأنا أشاهد هذه القرينة
الجديدة ضدي ، فلم أملك سوى انكارى لها .. فأبتسم ابتسامة
صفراء وهو يرجونى ألا أتعجل الاجابة ، ويطلب منى أن أفحصها
بعناية وتدقيق ، وأن أقرأ الاهداء المسجل على ظهرها .. ففعلت ،
وبصوت مضطرب قرأت ..

« الى ل.ف .. من ل.ل. »

بمناسبة العيد الأول مايو ١٩٤١ »

كانت هدية زوجتى لى لان الى ، وكنت أعرفها جيدا ، وأذكر
مناسبة اهدائها . وتذكرت أيضا سؤال القائد الذى كان قد
وجهه الى تلك الليلة .. عما اذا كنت اسمى أيضا ليو فو (ل.ف.)
.. وبان لى موقفى بجلاء .. ولكننى تماديت فى الانكار . فأبتسم
قليلا ، وسحب سروالا رمادى اللون وهو يقول :

« كان هذا السروال مخضبا بالدماء . »

أ - لم أر هذا السروال قبل اليوم .

ب - بكل تأكيد .. من قال انك رأيته .. ماذا لو خلعت سروالك
الذى ترتديه الآن ، وحاولت أن ترتدى هذا بدلا منه ؟

ج - فأطعت فى الحال ، وأنا أحاول أن أتمالك أعصابى .. وأن
أواجه هذه العاصفة بثبات ورباطة جأش ، ولما ارتديته علق قائلاً :

« يناسبك تماما . »

د - بكل تأكيد يا سيدى ، وسيكون مناسبا أيضا لعشرات غيرى
من المقيمين بهذا المبنى .

هـ - جميل جدا .. لدى شيء آخر أريد أن أطلعك عليه .. ما
رأيت فى هذا القميص الممزق .. لا بد أن الصراع كان عنيفا !

و - لم أر هذا القميص من قبل .

– لا يهم .. ارتده .. وإملاً صدرك ، وانصب قامتك ، حتى يلائمك تماماً .. هكذا ..

كان يتحدث وهو يساعدني على ارتداء القميص .. وقبل أن أقول شيئاً فاجأني بقوله :

– كيف تغلبت على ميشياكو ، وكيف تمكنت منه .. وقتلته .. هل كان هناك آخرون غيرك ؟ ..

– لم أقتل أحداً من قبل .. ولا أعرف من هو ميشياكو هذا ؟

– اذن هل تعرف فاي كو .. لا تقل انك لم تسمع عنه قبل اليوم .

– فعلاً .. لم أسمع عنه قبل اليوم ؟

فتركني واستدار نحو المترجم يصدر اليه تعليماته ، وبعد لحظات فوجئت بالمترجم يعود معه فاي كو وزوجته . لم أكن قد التقيت بفاي كو قبل اللحظة ، ولكنني عرفت من الوصف الذي سمعته عنه .. ومن وجود زوجته معه .. ومن المناسبة التي جاء من أجلها ..

ونظر القائد نحوي قليلاً وهو يوجه تعليماته الى المترجم .. التي نقلها الى فاي كو .. فتقدم هذا نحوي .. ودار حولي يفحصني بدقة وعناية . وكان من الطبيعي أن يقرر أنه لم يقابلني قبل اليوم .. لأن هذا هو ما حدث فعلاً . ثم تقدمت زوجته نحوي ، وفعلت كما فعل زوجها ، ثم أعلنت أنها تراني للمرة الأولى .. وأنني لست الشخص الذي قدم الى المنزل بصحبة سوزي .

لم يقتنع القائد بهذه الاجابة .. وحاول أن يستخلص الحقيقة من هذه المرأة .. ولكنها صمدت ، وقاومت ، فقد كانت تحاول أن تستر سوزي وأن تبعد عنها الخطر .

ولما خرجا – تابع ساكيموتو أسئلته وهو يقول :

- ماذا فعلت مع صوت وان .. وأين هي الآن ؟
وحيث تظاهرت بأننى أسمع هذا الاسم للمرة الأولى .. قال :
- لا داعى للتظاهر بأنك لا تعرف صوت وان .. التى سميها
أيضا سوزى ..

- « سوزى » .. هذا .. اسم زوجتى سوفيا ؟

- هكذا !! اذن .. كيف توضح هذا ؟

قالها وهو يخرج مفكرتى التى عشروا عليها فى المتجر ، ويقلب
صفحاتها ، ثم أمرنى بقراءة سطور كان يضع عليها علامة بقلم
أحمر .. فقرأت ..

« ما زالت خطابات س.ى. منقطعة .. ماذا جرى لسوزى ؟ »
وهنا تساقط العرق البارد فوق جبينى وأنا أواجه هذه
النهاية .. وأشعر بالمازق الذى وقعت فيه .. وحيث عجزت عن
الإجابة قال :

- أشعر بالدافع الذى يملك على الدفاع عنها .. وأعرف
أنك تحبها .. وأنها هى التى أرشدتك الى المنزل وقادتك اليه ..
لتقتل ميشياكو ، ونريدك الآن أن ترشدنا الى مكانها .. فأين
هى ؟ ..

ولم أملك سوى أن أقول :

- أقسم يا سيدى .. اننى لا أعرف أين هى الآن ! ..

وفى هذه اللحظة دخل أوكيرو .. ودار حديث بينه وبين
ساكيموتو .. توقعت أن تكون فيه .. خاتمة حياتي ..

الفصل العشرون

بقيت أربعة أيام وأربع ليال .. بين يدي أوكيرو وزبانيته ..
ولا أستطيع أن أحدد .. كم مرة فقدت فيها رشدي خلال هذه
الفترة القصيرة .. وكم مرة حاولوا أن يعيدوني الى رشدي ..
ليتابعوا ضربى وتعذيبى حتى أفقد الرشدة مرة ثانية . أذكر
الجهاز الكهربى اللعين الذى استعملوه معى فى الليلة الأولى ..
وكاد أن يقضى على بالصدمات العصبية التى كان يسببها لى ، كلما
أداروا مقبضه ، وسرى تياره يهزنى هزا عنيفا ، ويمزق أعصابى
تمزيقا ، وأذكر اليوم الثانى .. حين علقونى من قدمى فى سقف
الحجرة ، كالذبيحة فى متجر الجزار ، فاندفع الدم يملا رأسى ..
وعينى ، وتوقفت نبضات قلبى أو كادت . وأذكر سياطهم التى
انهالت فوق ظهرى وصدرى ، وأنا أركع فوق المسامير والزجاج
المكسور ، وكل جزء من جسدى يتمزق ويتحطم .. وأخيرا أذكر
اليوم الرابع .. حين قيدونى الى أحد المقاعد ، وكانت يدي اليسرى
ممدودة مقيدة على مسند المقعد وأصابعى مفرودة .. حين تقدم
أوكيرو يحمل عصا فى يده ، مثبت فى طرفها مسمار رفيع طويل
.. أخذ يدفعه تدريجيا فى اصبعى الوسطى بين الجلد والظفر
.. وهو يقول :

- با جىرو .. أيها الكلب .. سنقتلك ونقضى عليك ..
خطوة .. خطوة .. هكذا .

ويستمر فى دفع المسمار .. وكلما حافظت على صمتى ..
كلما ازداد دفعا .. وهو يصرخ ويقول :

- أين تخفى هذه الفتاة ؟ ..

- اقتلنى .. اقض على .. لا أعرف شيئا عن هذه الفتاة ..
قلتها وأنا أصرخ ألما وهو يزداد عنفا وضغطا .. رباه .. هل
يوجد ما هو أقسى وأعنف من هذا الألم الذى أعانيه ! .. هل من
سبيل الى الموت .. يرحمنى من هذا العذاب ، وفجأة أظلمت الدنيا
أمامى .. ولم أعد أشعر بشيء ما بعد ذلك .

وحين أفت ، وجدتني أرقد على الأرض فى زنزانتي .. وكانت
ذراعى كلها على درجة من الحساسية .. تجعلني أقفز ألما ، اذا
لمست أى جرم منها ، وكان أصبعى .. منتفخا وفى لون الجمرة ..
بل وأشد حمرة ..

ولسبب لا أعرفه .. تركوني وحدى أربعة أيام أخرى ..
وشعرت فى اليوم الأول بالحمى تكاد تنهش جسدى ، فتناولت
أقراص السلفا التى تركها الطبيب معى ، وبهذا استطعت أن أوقف
الحمى .. وأن أزيل آثارها .. وان بقيت أشعر بالضعف
والهزال ..

وفى صباح اليوم الخامس سمعت أصوات أقدامهم متجهة نحو
غرفتي .. فنوقعت المزيد من جرعاتهم .. وتمنيت أن تكون قاتلة
.. هذه المرة .. ومن يدري ؟ .. فقد تكون جرعتهم اليوم .. حمام
المعدة .

ودخل أوكيرو وهو يرمقني بنظراته الحادة ، ويقذفني بأقذر
ما لديه من الفاظ .. ثم أمرني بأن أنزع ثيابي .. وهو يناولني
ثيابا أخرى نظيفة لأرتديها .. وكانت أحسن من ثيابي الممزقة ..
الملطخة بدمي .. ثم قال :

- خائن منك يجب أن يشنق

وحين غادرت الغرفة .. تقدم أحد الجنود وقيد وثاقي وأمرني
بالسير خلف الباقيين ، وبدلا من أن يتجهوا بي نحو غرفة «التعذيب»
.. كما توقعتم .. تابعوا السير بي نحو الباب الخارجى حيث كانت

تقف احدى عرباتهم .. يحيط بها شرذمة من رجالهم . وحين امرت
بالركوب .. امتثلت وأنا أعتقد أنني في طريقى الى .. مساحة
الاعدام . كنت أشعر بأننى أستقبل الموت فى هذه اللحظة ..
برغبة صادقة ، اذ كنت أرى فيه سبيل الخلاص الوحيد من هذا
العذاب الذى يفوق طاقة احتمال البشر .. وكنت أعتقد ان فى .
موتى .. ضمانا لحفظ سر المنظمة .. وسر العم ليو .. وسوزى
.. وباقى الأخوان . لهذا كنت أشعر بالراحة .. والاطمئنان ،
وأنا أقول فى نفسى .. انها لحظات قصيرة .. ينتهى بعدها
كل شيء .

و حين توقفت العربىة .. كنا قد وصلنا الى المدينة .. فى
وسط سوقها التجارى ، فتعجبت لاختيارهم هذا الميدان بالذات
دون غيره . مكانا ينتهون فيه منى . هل أرادوا أن يجعلونى
عبرة لغيرى ؟ .. وأين يرانى كل غاد ورائح ! .. حتى لا يجرؤ
مخلوق بعد اليوم على مقاومتهم .. ثم تحديهم بالاصرار والعناد .
وبقيت أردد فى قرارة نفسى .. أننى سأواجه الموت بشجاعة ،
لأحفظ تقدير .. لى لان .. وسوزى .. وحبهما لى .

وهناك قيدونى الى عمود من الأسمنت .. كان مقاما فى وسط
الميدان . وتجمع القوم حولى من كل مكان . وكان رجال الشرطة
يحولون بينهم وبين الوصول الى حيث أقف . وبعد لحظات قاموا
بوضع عدد من اللافتات حول المكان الذى أقف فيه ، مكتوبا عليها
بخط صينى أو مالايى كبير .. الاتهام الموجه الى .. والحكم الصادر
ضدى .. والموعده المحدد للتنفيذ .. وكان يعد يومين . كما كان
المرجمون والمنادون يقرأون هذا الاعلان بصوت عال يصل الى
أسماع الجميع .. مرة كل نصف ساعة .

وكان الاتهام الموجه الى .. والمصير الذى أترقبه .. والحالة
المزرية التى كنت أبدو بها ، ورغم الثياب النظيفة التى أرادوا أن
ارتديها .. وأنا أبدو فيها كالشبح بين الأحياء .. كانت هذه كلها

من العوامل التي حملت القوم على الوقوف حولي .. وأمعانهم في النظر الى .. وتبادل الحديث .. عني ، ولم أكن في حالة تسمح لي بالتعرف على مشاعرهم نحوي .

وبقيت في موقفى هذا ثلاث ساعات ، أمر أوكيرو بعدها بإعادتي الى سجن المدينة . وفي اليوم التالي .. عادوا بي الى نفس المكان .. وقاموا بنفس العرض .. وتجمع الشعب حولي كتجمعه بالأمس .. وساد المكان سكون وهدوء أشعراني بالحالة النفسية التي كان هذا الشعب يعانيها .. اليوم ، ان الناس وقد أدركوا الحقيقة .. بدأوا يرثون لحالي .. ويعطفون علي .. بالرغم من عملاء المباحث الجنائية المنتشرين بينهم ..

ولفت نظري شخص ما .. يقف بين الجموع الحاشدة .. وجه لم يكن غريبا علي .. تابعته كثيرا بنظري .. وحاولت أن أتأكد من شخصيته .. وبعد جهد ميزت فيه آه كيوي ، وكان يتنكر في شكل سائق عربة ريكشي ، ولكن تنكره هذا .. لم يخف طابعه الذي أعرفه جيدا ، فأخذت أتابعه وهو يأخذ طريقه بين أفراد الشعب الواقف حولي .. الى ان وقف خلف رجل يبدو في مظهره كراهب بوذي عجوز ، حليق الرأس ، يضع منظارا يتدلى فوق أنفه ، وأخذت أنقل نظري بين آه كيوي .. وبين هذا البوذي .. وأنا أحاول أن أربط بينهما . وقادني تفكيري العميق الى الظن .. فاليقين .. من أن هذا الراهب .. ما هو الا العم ليو .. وحين تبينا أنني قد تعرفت عليهما .. غادرا المكان واختفيا عن الأنظار .. وأنا أسأل الله أن يكتب لهما السلامة والنجاة من الوقوع بين أيدي هؤلاء الزبانية ..

وحين انتهى عرض هذا اليوم ، أمر أوكيرو بإعادتي الى السجن .. وفي طريقي الى العربة .. لمحت هاليسمات أيضا .. وكان يتظاهر بتناول قدح من الشاي في مشرب قريب من مكان الوقوف العربة ..

أعادت أحداث هذا اليوم .. الثقة الى نفسى ، وأنا أرى قوماً يلتفون حولى فى أعصب ساعات حياتى .. ليؤكدوا لى اننى لست وحدى .. وأنهم معى .. وحولى ... فاستبشرت من ذلك خيراً .. واطمأنتت نفساً ..

وفى طريقى الى داخل السجن كان أوكيرو يرافقنى - ليصدر تعليماته المشددة - بنفسه - للاهتمام بحراستى ، والتحفظ على انتظارا لليوم الموعود - حين دق جرس التليفون فى مكتب مأمور السجن ، ودار حديث بين المأمور والطرف الثانى ، ثم نادى المأمور أوكيرو للرد على قائد المنطقة ، فأسرع هذا يلبنى النداء ، وفى صوته احترام وخضوع .. وحين انتهى الحديث أسرع يدعو رجاله جميعاً .. حتى من كان قد عينهم لحراستى .. وكان يصرخ ويلعن الخونة الذين تجرأوا وفعلوا ما فعلوا !! ثم ركب الجميع عرباتهم .. وغادروا السجن مسرعين ، ولم يبق فيه سوى المأمور .. وعدد من الحراس .. يقل عددهم عن عدد أصابع اليد الواحدة ..

ولم تمض لحظات حتى سمعت بوق عربية تدخل باب السجن الخارجى .. ثم تقف أمام بابه الرئيسى .. وبعد لحظات سمعت أصوات أقدام تدق طرقات السجن وتتقدم نحو مكتب المأمور ... ثم ساد سكون ... قطعه دخول المأمور ومرافقيه القادمين .. الى حيث أقيم - وبعد أن قيدوا وثاقى - صحبوني الى العربية التى قدموا فيها .. وتحركت العربية مبتعدة بنا عن السجن ..



ومضت العربية فى طريقها ، وحين وصلنا الى مشارف المدينة .. شعرت بيد تمتد من خلفى وتربت على كتفى .. وسمعت بصوتاً تبينت فيه صوت ونجتي وهو يقول بصوت هادئ حنون هز مشاعرى :

- ليو فونج .. انحن للأمام قليلا حتى أفك وثاقت

فاستدريت الى الخلف مذهولا مأخوذا .. لا أصدق ما سمعته
أذنأي ، وكم كانت فرحتي وأنا أجد ونجتي يجلس في المقعد الخلفي
للعربة .. والى جواره العم ليو وهو يبتسم ابتسامته العذبة ..
فصحت أناديهما .. والفرحة تملأ نفسي .. وأنا لا أتصور ..
كيف أننى من لحظات قليلة كنت لا أطيق مجرد سماع صوتها
حين كنت أحسبهما من رجال الشرطة الملعونين ..

وأشار العم ليو الى السائق وهو يقول :

- هل تعرف من هذا ؟

لقد كان ليك بى ! .. وبعد لحظات صحت .. أتساءل :

- كيف فعلتم هذا ؟ .. وأين سوزى .. كيف حالها ..
ماذا حدث لها .. هل هى بخير ؟

فاجابنى العم ليو قائلا :

- انها بخير .. وهى تنتظرك فى المعسكر . وسنخبرك كيف
خدعناهم .. وستعلم كم هم أغبياء بلهاء ! .. وستسمع فيما بعد
كيف تلقى أوكيرو و .. القائد .. الصدمة .. حين يعلمان
بهروبك .. وكيف كان تصرفهم .. مع الأمور .. ! ستعلم كل
شيء .. فيما بعد .. أما الآن يابنى .. فعليك بالهدوء .

ومضت ساعتان .. قبل أن نصل الى حافة الغابة التى يقص
المعسكر فى وسطها .. وتركنا العربة فى مكان أمين . وكان من
الواضح أننى لن أستطيع السير معهم بين مسالك الغابة الوعرة ..
وسرعان ما أحضروا محفة حملونى عليها .. وتقدموا بى وسط
الدروب والمسالك الوعرة .. يتحسسون خطاهم .. حتى وصلنا
الى المعسكر .

كان ونجتي قد تقمص شخصية قائد المنطقة واستدعى
أوكيرو على التليفون .. حين وصوله الى السجن ، وأمره بالقيام
فورا ومعه كل قوة يستطيع جمعها والتحرك بها حالا الى سيروكي
- على بعد ثلاث ساعات بالسيارة - ليقدم نفسه الى الكولونيل
كيلوما ، وليشترك معه في مطاردة عصابة من الخونة أبادت داورية
يابانية ودمرت مستودعا كبيرا للذخيرة .. وذلك قبل أن ينجح
كيلوما في حصارها والحد من نشاطها .. بعد أن اعتصمت وسط
غابات سيروكي ! ..

وحين امثل أوكيرو لهذه التعليمات . وبعد أن تأكد ونجتي
من مغادرته السجن والمدينة ، قدم ونجتي ورفاقه الى السجن ،
يحملون للمأمور أمرا معتمدا من قائد المنطقة وممهورا بخاتمه ! ..
لتسليم المسجون ليو فونج الى حامل الرسالة الرقيب-شاي كولي
.. حيث أنه مطلوب للتحقيق معه في حادث اكتشف أخيرا !

وكانت المجموعة قد أجادت التنكر في زي الجنود اليابانيين
.. ولم يجد المأمور ما يثير شكوكه وشبهاته .. فامثل للأمر
الصادر اليه .. بعد أن وقع ضابط الصف ، قائد الحرس ، في
سجلات السجن الرسمية .. بما يفيد استلامه المسجون ..
وانتقال مسئولية حراسته اليه ..

الفصل الحادى والعشرون

في خلال الأسابيع القليلة التى تلت وصولي الى المعسكر ..
كنت أفضي فترة نقاهة أسترد فيها قوتي ، وكانت حالة أصبعي
هى التى أطالت هذه الفترة .

وفي ساعة متأخرة .. ذات مساء من أمسيات الربيع الجميلة
بعد وصلت الى أسمعنا أصوات محركات قوية لطائرة كانت سرق

فوق رموسنا ، وتمزق السكون الذى كان يحيط بنا • كنا على يقين من أنها لم تكن طائرة يابانية ، فقد شاهدها بعض الأفراد وقالوا انها كانت من الطائرات الضخمة - ذات المحركات الأربعة - وانهم شاهدها بجلاء فى ضوء القمر الساطع ، وانهم لم يشاهدوا مثلها من قبل بين الطائرات اليابانية التى تعمل فى سمائنا دائما ..

وكان شعورنا جميعا .. ونحن نناقش هذا الذى رأيناه ونتأججه المرتقبة .. ان مياه البحر قد اخذت تنحسر .. وأن المد قد آن له .. ان يأخذ طريقه .

واقترح كولو أن نحاول لفت أنظار هذه الطائرة اذا عادت للمرور فوقنا فى الليلة القادمة ، باستخدام المشعل الكهربى فى تبادل اشارات المورس مع طاقم الطائرة • واذا عبرت الطائرة .. دون أن تبين اشاراتنا .. تابعنا محاولتنا .. ليلة بعد أخرى .. الى أن ننجح • وحين تكتشف الطائرة موقعنا .. فلا شك فى أنها ستبلغ قيادتها عنه .. وقد نتلقى منها الامدادات • من معدات وأسلحة ...

وهكذا قررنا بدء الاستعداد .. وفى تفكيرنا أننا اذا لم ننجح .. فلن نخسر شيئا •

ومضت الليلة الأولى .. وتلتها الثانية .. فالثالثة .. دون أن نحقق أى نجاح .. وكان من الواضح أن وسيلتنا هذه للفت نظر الطائرة .. كانت أضعف من أن تحقق الغرض المطلوب • وعلى ذلك فقد قررنا أن نضع ما يشبه مواقد الفحم .. فى أماكن معينة حول المعسكر ، راعينا فى اختيارها أن تكون عالية • مسنورة عن رؤية العين المتطفلة • التى قد تحاول التجسس علينا • وقد أعددنا فى كل موقد كمية من الحطب .. والكبروسين ، وعينا شخصا مسئولاً عن كل موقع .. يشعل الموقد بمجرد صدور إشارة متفق عليها ..

وكان عدد آخر من الأفراد - يحمل كل منهم مصباح عاصفة
يقفون وسط الموقع بحيث يشكلون كلمة « فدائيون » .. حين
تضاء مصابيحهم .. وعينا ليك بى لمتابعة الموقف واصدار الاشارة
الى حكمدارى الأطقم والأفراد حاملى المصابيح .. ليشعلوا نيرانهم
فى الحال .. وقت الحاجة ..

ومضت ليلة .. وأخرى .. وكنا كلنا عيوننا ساهرة يقظة ..
ولكن الطائرة لم تظهر فوقنا .. ثم تغير الجو فجأة .. وانتشرت
السحب الكثيفة .. وسقطت الأمطار الغزيرة .. ولم يصف الجو
خلال ثلاثة أيام متوالية . وفى مساء الليلة الرابعة .. بعد أن صفا
الجو وعاد الى طبيعته الجميلة .. سمعنا أزيز المحركات الضخمة
يقترّب منا .. فتعالت أصواتنا فرحا .. ولهفة .

وفى الحال أصدر ليك بى الاشارة .. واشتعلت النيران ..
ومرقت الطائرة فوقنا .. صوت محركاتها يعلو صياح الأفراد وهم
يهللون .. ويرقصون . وفى ثوان كانت قد اختفت عنا تماما ،
فأصابنا اليأس ، وحل بنا الضيق ، وبدأنا نراجع خطتنا . ونبحث
بما عسى أن يكون فيها من خطأ أو ضعف .. وفجأة سمعنا أزيز
الطائرة يعود .. ثم رايناها تدور فوقنا فى دائرة تحاول أن تجعلها
صغيرة .. ثم تابعت دورتها مرة ثانية .. وثالثة .. ثم أضاءت
مصباحها الكاشف عدة مرات متوالية .. ثم انطلقت مبتعدة ،
وقلوبنا تتابعها ..

وفى الحال أسرعنا نطفئ النيران والمصابيح .. ونحن نتوقع
أن تفاجئنا طائرة مطاردة يابانية .. أو أكثر

وفى الليلة التالية اخذنا اهبتنا ايضا . . وحين عادت الطائرة
لنا . اشعلنا المواقد . ودارت الطائرة حولنا بضع مرات - كما فعلت

بالأمن - ثم أسقطت جسما كان يبدو أسود اللون .. ثم ابتعدت
مسرعة .

وأخذ الجسم الساقط يتأرجح في السماء ، بعد أن انفتحت
المظلة التي كانت تحمله ، وتابعناه بعناية لنحدد مكان سقوطه ،
وتعالى صياح رجالنا .. وهم يتابعونه الى أن وصل الى الأرض في
المنطقة الشرقية من المعسكر - وحين وصلنا اليه .. كان رجالنا
قد سبقونا ، وأحاطوا به في دائرة كبيرة وهم ينظرون اليه في دهشة
.. وبشر .. وأمل . وأخذ ونجتى والعم ليو يتفحصانه .. كان
هذا الجسم صندوقا إسطوانى الشكل مصنوعا من المعدن الخفيف ،
طوله حوالى ستة أقدام وقطره حوالى ثلاثة أقدام ، وكان بداخله
أربعة وعشرون رشاشا قصيرا واثنا عشر صندوقا من الذخيرة ،
وحقيبة من النسيج بها بعض الأدوات الطبية والعقاقير والأدوية ..
وصندوق متوسط الحجم من الورق المقوى به بعض الأطعمة
المحفوظة ..

وفي وسط هذه اللحظات المثيرة التي كنا نعيشها .. وصلت
الى أسماعنا أصوات محركات طائرة .. أصغينا اليها .. وكانت
أقل قوة من سابقتها ، وأضعف صوتا ، وحين ميزناها بجلاء ..
تبيننا أنها كانت من الطائرات اليابانية المطاردة ذات المحركين ،
وكانت محاولتنا لتدارك الموقف الخطير .. قد جاءت متأخرة ،
فقد أنستنا لهفتنا .. أن نطفىء المواقد كما فعلنا في الليلة الماضية
.. وحين أسرعنا نحوها لتدارك الأمر ، كانت الطائرة الجديدة
قد تعرفت على موقعنا .. وميزته تماما ، مستخدمة المشاعل
المضيئة التي تسقط محمولة بالمظلات .. فتضىء كل ما تحتها ..
وتصبح الرؤية .. كما لو كانت في وضوح النهار .

وقبل ظهر اليوم التالى - ظهرت فى سمائنا طائرة يابانية
أخرى أخذت تدور .. وتدور .. حولنا .. تستطلع المنطقة وتحدد
معالها .. ثم ابتعدت . وحوالى الساعة الثالثة عادت طائرة أخرى

وبقيت تحوم حولنا فترة طويلة أيضا .. ثم ابتعدت : وحينئذ
قررنا ألا نعود الى اشغال النيران هذه الليلة .. وأن تبقى
متيقظين .. على حذر .. لنواجه ما قد تحمله الينا الساعات
القادمة .. !!

واستمر نشاط الطائرات اليابانية فوقنا خلال اليومين التاليين
: وكانت تحوم فوقنا في ساعات متفرقة من النهار والليل ..
الأمر الذي أكد لنا نياتهم القادمة .. فاجتمعنا في شكل مجلس
حرب .. نتدارس الأمر ونضع خططنا لمواجهة الموقف القادم ..

كانت طبيعة المنطقة التي يقع فيها المعسكر تجعلنا نسيطر
تماما على معظم الطرق الصالحة المؤدية الينا .. وكان ما تبقى من
الطرق لا يصلح لتحرك الحملات الميكانيكية . فقد كانت المنحدرات
المحيطة بالمعسكر في الشمال والشرق والغرب ، ذات ميل حادة
جدا .. كما كانت الغابات الكثيفة تحد من الحركة حولنا . وكان الطريق
المؤدي الى الركن الشمالي الغربي للمعسكر ضيقا متعرجا ، لا يصلح
لأي قوات ميكانيكية ، ولا يسمح للقوات الكبيرة المترجلة بالمرور
منه الا في شكل قطار طويل ممتد كالخيط الرفيع الذي يسهل
تمزيقه ، ولم يبق سوى المنطقة الجنوبية للمعسكر . وكنا نتوقع
أن يكون هجوم العدو علينا من اتجاه الجنوب الغربي أو الجنوب
الشرقي .. أو من كليهما . وكانت قواتنا قد أجرت الكثير من
التجارب للتدريب على الدفاع عن المحورين بكفاءة ونجاح .. طبقا
لخطة كانت موضوعة من قبل ، روعي فيها توافر العمق اللازم
للدفاع .. حتى يواجه العدو أكثر من موقع واحد ، فاذا نجح في
اختراق الموقع الأول ، فعليه أن يقاتل ثانية ليستولى على الموقع
الثاني .. ثم الثالث .. وهكذا حتى تنحدر قواه ، وحتى تتوفر
للمدافعين الفرصة لضربة مضادة يقومون بها .. لتحد من تقدم
المهاجم ، وتفقد ما عسى أن يكون قد حققه من خطوات .

وتحدد الاختصاصات .. والواجبات .. لكل فرد منا .

فكل منا مسئول عن قطاع .. أو واجب .. أو عمل معين يقوم به ،
ولحسن الحظ كانت منطقتنا لا تصلح لاستخدام الدبابات أو المعدات
الثقيلة ، بما في ذلك المدفعية ، وكانت القوة العبدية المتفوقة ..
هي ميزتهم الوحيدة ، وكانت خبرتنا الكاملة بطبيعة الأرض حولنا
.. هي سلاحنا الماضى المضاد الذى نستطيع استغلاله بنجاح .

وانقطعت الطائرات اليابانية عن زيارتنا ثلاثة أيام متوالية ،
وفى الصباح الباكر لليوم التاسع من مايو .. عادت الى نشاطها .
فوقنا من جديد . وكانت هذه هي المرة الأولى التى تظهر فيها فى
مثل هذا الوقت المبكر .. مما أكد لنا .. أن هذا اليوم .. هو
موعدهم معنا ! ..

وبعد ساعة وصلنا انذار عناصرنا التى كنا قد دفعناها الى الأمام
للانذار المبكر ، وبعد قليل سمعنا أصوات طلقات أسلحتهم حين
فتحوا نيرانهم على الأهداف الصورية التى كنا وضعناها فى طريقهم
للخداع والتضليل .. ولاستنفاد ذخيرتهم ..

كنت على رأس قوة من رجالنا .. نختبئ فى منطقة تقطع
الطريق على القادمين من اتجاه الجنوب الشرقى ، وكنت أراقبهم
بمنظارى وأراهم وهم يتقدمون ببطء وحذر ، ويفتشون كل شبر
من الأرض بعناية ودقة .. خشية أن يكون بعضنا مختبئاً فوق
رعوس الأشجار أو بين الأعشاب العالية .

وكان العم ليو على رأس قوة أخرى مماثلة تسيطر على من
يتقدم من اتجاه الجنوب الغربى .

وقد تابعت القوات اليابانية تقدمها .. ومرت أمامنا ..
ونحن نحبس أنفاسنا فى موقعنا العمودى عليها . وحين وصلت
قوات العدو الى مسافة قصيرة من موقعنا الأمامى .. تحركت بجزء
من قواتى أقطع عليها خط الرجعة . ودار القتال عنيفا بيننا ،
وبين العدو ، وحين حاول التراجع لينظم نفسه قبيل أن يعاود

الهجوم مرة ثانية .. كان الطريق قد أغلق دونه .. فسقطت
القوة جميعها بين قتيل .. وجريح ..

وكانت فرحتي البالغة أن أجد الرقيب أو كبرو وثلاثة من رجاله
الذين ساموني العذاب ألوانا .. بين هؤلاء الجرحى ، فكانت
فرصتي التي لا تقدر .. لأرد لهم صنيعهم . ولكن ظروف المعركة
حملتني على تركهم .. الى حين .. بعد أن أمرت بالتحفظ عليهم
.. حتى ينجلي الموقف .. ويتيسر الوقت للحساب !

وقبل الظهر بقليل ظهرت ثلاث طائرات أخذت تحوم فوقنا
على ارتفاع منخفض .. ثم أخذت تمطر المعسكر وما حوله بنيران
رشاشاتها وقنابلها الحارقة المدمرة .. في الوقت الذي أخذت
فيه قوة أخرى جديدة ، تتقدم نحونا متخذة طريقها من اتجاه
الجنوب الغربي . وقبل ثلاث ساعات كانت هذه القوة أيضا
قد لاقت مصير سابقتها .. ولكننا كنا قد منينا بخسائر شديدة
في الأفراد والمباني .. كان من بينها مخزن المؤن ، وجانب من
المستشفى الصغير الذي كنا قد أقمناه .. وجهزناه بما توافر
لدينا من معدات قليلة ..

وحين خبت نار الآتون قليلا .. أخذنا نبحث عن جرحانا ..
وقدما لهم ما نستطيعه من رعاية ، ثم جمعنا شهداءنا وواريناهم
التراب بما يليق بهم من تجلة واحترام . ولما جمعنا قتلى العدو
وضعناهم في حفرة واحدة كبيرة وأهلنا عليها التراب .

ثم تذكرت أو كبرو .. أسيرى الميجل .. فأسرعت اليه ..
وكانت الصدمة التي أفقدتني صوابي أن أجده هو ورفاقه الثلاثة
يرقدون وسط بركة من الدماء .. وعلى صدر أو كبرو ورقة صغيرة
بها بضعة سطور تقول :

« الى قادتى المحترمين »

أرجو أن تتقبلوا أسفى العميق على ما فعلت .. فقد أقسمت
على قبر زوجتى وأبنائى أن انتقم لمصرعهم بالدماء . وحين وفرت
لى السماء هذه الفرصة السعيدة الذهبية .. لم أتردد فى الانتفاع
بها .. ولو لم أفعل .. لبقيت طريد أرواح شهدائى ، فأنا
لا أستطيع أن أرى أى يابانى .. دون أن أزهرق روحه . وحين
تنبهت الى نفسى ، وشعرت بمخالفتى لتعليماتكم بالتحفظ على هؤلاء
الأسرى أحياء .. لم أستطع البقاء .. وضعفت عن مواجعتكم ..
وأنا إذ أغادركم مبتعدا عن اخوانى الدين عشت معهم هذه الأيام
العصيبة .. وشاركتهم الأمل فى الانتقام .. أعاهدكم .. أمام
الله .. أننى لن أنثنى عن قتال هؤلاء الوحوش .. حتى النصر
الأخير .. أو الموت ..

لى كوى ..

لم تكن رسالة لى كوى هى المفاجأة الوحيدة التى أذهلتنى ..
فقد تبينت بعد ذلك أن خسائرننا كانت جسيمة فى الأرواح ..
وأن العم ليمو ، وكولو ، وسك كى ، وهاليسمات ، وكابيتو ،
 وآه بن .. كانوا على رأس قائمة الشهداء الذين بلغ عددهم خمسة
وسبعين قتيلا . وأن سوزى قد أصيبت هى أيضا أثناء غارات
الطائرات .. وأن إصابتها شديدة فوق القلب بقليل وفى مفصل
الكتف الأيمن . وأن عدد الجرحى من رجالنا بلغ المائة بينما
بلغت خسائر العدو مائتين وأربعين .. من مختلف الرتب .

لقد حققنا نصرا عظيما .. ولكن الثمن الذى دفعناه ..
كان غاليا ..

الفصل الثانى والعشرون

ودعا ونجى الى اجتماع للقادة .. لتدارس الموقف الجديد
.. ولنتخذ مايتطلبه الأمر من اجراءات لمواجهة الاحتمالات المنتظرة .

ودار نقاش طويل وتبدلت آراء مختلفة ، فكان من رأى
وى كيو ضرورة مغادرة هذه المنطقة فى الليل .. وقبل بزوغ
فجر الفد . كان يشعر بأن القيادة اليابانية لن تسكت على هذه
التهزيمة التى حلت بها ، وهزت كيائها ، ولا بد أنهم سيعاودون
الكرة .. مرة أخرى .. وثانية .. وثالثة .. اذا تطلب الأمر ،
وسيحشدون كل قواهم ، ويكتلون كل جهودهم .. حتى يحققوا
نصرا يعيد اليهم الاعتبار الذى فقدوه . وأيد موكها هذا الرأى
وأضاف بأن قواتنا - بعد الخسائر الجسيمة التى حلت بها ..
قد أصبحت لا تستطيع الصمود طويلا أمام هذا العدو ، الذى
سيضاعف من قواته ، ويؤازرها بعدد من الطائرات .. وأجمع
الجميع على ضرورة الاخلاء .. وفى الحال . وحين حل دورى فى
الحديث وابدأ الرأى .. كنت أفكر فى جرحانا .. وكيف ننقلهم
.. الى أين ؟ .. ولكننى كنت ولا شك أؤيد الرأى القائل
بالانسحاب .. ولم يكن أمامى .. بل لم يكن أمامنا جميعا ..
سوى هذا الحل .

وعلى ذلك اتخذنا قرار انسحابنا الى منطقة أخرى تقع خلفنا
بحوالى خمسة أميال ، كان قد سبق اختيارها لمثل هذا الظرف ..
وكان هذا أصعب قرار اتخذناه فى حياة المنظمة ، فقد كان هذا
المعسكر - رمز كفاحنا - وكان يمثل فى حياتنا الكثير .. اذ كان
بالنسبة لنا كالأبن .. وكانت الهجرة منه أشبه بحكم الاعدام
يصدره الأب على ابنه !!

لقد كان من المتعذر أن ننقل جرحانا .. وكل ما نملك من ذخائر ومهمات في خلال ساعات الليل المحدودة . وكان أن قررنا إعطاء أسبقية خاصة لنقل الجرحى والأسلحة والذخيرة والمهمات الطبية . بحيث يتم نقلها قبل شروق الشمس .. على أن نترك قوة صغيرة - من ستة أفراد لحراسة ما سيبقى في المعسكر حتى يتم نقله في الليلة التالية . وفي الحال قمنا بأعداد المحفات اللازمة لنقل الجرحى .. وحزمنا الذخيرة في ربط خاصة يسهل حملها .. ثم بدأنا السير ..



كان واجبنا الأول - في المعسكر الجديد - أن نرعى جرحانا وأن نوفر لهم كل ما نستطيع من علاج ورعاية . وكان نارابى ، أحد المتطوعين الهنود ، يقوم بأعمال الطبيب في حدود ما توافر له من خبرة سابقة - وكانت كبيرة والحمد لله - وبقدر ما تيسر لنا من معدات .. وأدوات .. ودواء .. بدأ نارابى عمله في الحال ..

كانت سوزى تقاوم الألم بشجاعة وصبر .. وكانت تكتم عني ما تقاسيه - وتجيبني حين أسألها - بأنها تشعر بتحسن كبير وبأن الألم قد بدأ يزول تدريجيا ..

كانت أصابتها كما علمت من نارابى ، تحتاج الى جراحة كبيرة .. لا خبره له بها وحتى لو حاول .. فإن ما لديه من أدوات لا يصلح .. ولا يكفي .. والمكان أيضا ، لا يقبل طبيب أن يزاول فيه مثل هذه الجراحة . كان الحل الوحيد أن تنقل سوزى الى المدينة .. حيث المستشفى .. والطبيب القدير . وقد كنت أؤيد هذا الحل بكل قواى - رغم ما فيه من خطورة بالغة - على سوزى .. وعلينا جميعا . كنت أشعر بأن نهاية الطغيان .. قد بدأت تتبلور .. وتقترب .. وأنها مسألة وقت لا يمكن أن يطول . وكان في تقديري أيضا أن حالة سوزى وعلاجها ..

سيكونان فى المرتبة الاولى لدى سلطات الاحتلال .. وأنهم لن يقدموا على شىء معها قبل أن يتم شفاؤها .. وأنها بحياتها وصحتها .. أئمن وأغلى لديهم .. منها وهى هيكمل محطم .. ولما كانت الجراحة وفترة العلاج والنقاة ستستغرق وقتا أيضا .. فلا شك أن فرصة السلامة أمامها .. ستكون كبيرة ..

وعرضت الفكرة على سوزى .. وونج تى .. ونارابى .. ووى كيو .. فأيدوها جميعا .. ما عدا سوزى .. التى بكث وثارى وهى ترفض باصرار وعناد .. حتى خشينا عليها من المضاعفات .. كانت ترحب بالعذاب .. وبالموت .. وهى بيننا .. ولا تقبل أى محاولة للعلاج وهى بعيدة عنا .. كانت تخشى أن تعجز عن المقاومة - وهى فى ضعفها هذا - فتبوح بما يكشف أمرنا وأمر المنظمة .. بعد أن شاركنا كل هذا الكفاح الطويل ..

كانت تعيش على حقن المورفين المسكنة .. فلا علاج آخر لدينا نستطيع أن نقدمه اليها .. وكانت فى بادىء الأمر تأخذ حقنة واحدة كل خمس ساعات .. ثم أصبحت حقنتين .. وبمسرور الوقت زادت الكمية .. وقل الوقت بين الجرعة والثانية .. ثم أخذت حرارة الجسم ترتفع .. يوما بعد يوم .. ثم ساعة بعد أخرى .. وحالة الجراح تزداد سوءا ..

كانت رغبتهما القوية فى الحياة .. هى العامل الوحيد الذى يقاوم المرض ..

استغرق العمل فى اخلاء المعسكر ثلاثة أيام .. وكانت القوات اليابانية وطائراتها قد انقطعت عن أى نشاط .. كما لو كانت توفر لنا الوقت والفرصة لنبتعد عنها بعيدا بكل ما نملك ..

وفى صباح اليوم الرابع .. وقبل أن يذهب رجالنا الى المعسكر .. ظهرت الطائرات اليابانية فى السماء .. وأخذت تمطر

المعسكر وما حوله بقنابلها فأتت على كل ما فيه ، وفي أقل من ساعة .. ظهرت القوات اليابانية وأحاطت بالمعسكر لتقطع خط الرجعة على من فيه .. ثم تقدمت الى المعسكر .. لتجده خاليا ..
خاويا ..



كنا نتابع حالة سوزى وقد أخذت تتدهور ، بغير ما أمل قى شفاء .. الا بمعجزة من عند الله . كانت تقول انها لن تموت .. لأنها تريد الحياة .. لتنعم بالنصر . كانت تبذل كل ما تبقى لها من طاقة وجهد .. لتبدو مرحلة مستبشرة ، ولتغلب على الصفرة التي بدأت تغزو وجهها .. لقد كانت قدوة طيبة لغيرها من الجرحى .. الذين تعذر علاجهم أيضا .. أو طال ..

و ذات صباح ، وكنت قد قضيت الليل بطوله أجلس الى جوارها ، سألتني لماذا يصعب على المرء أن يستقبل الموت .. بترحاب ؟ .. كانت قد بدأت تفكر فيه .. وتستعد له ، رغم أنها كانت تقاوم الفكرة .. وترجو الحياة .. كانت تأمل في فرصة للشفاء .. ولكنها اليوم .. وهي ترى أنها لا تتقدم ، ولا تبدو لها بارقة أمل في الشفاء .. فانها تعتقد أن العلاج الوحيد الباقي أمامها .. هو التخلص من آلامها هذه .. بالموت !

ومن هذه اللحظة .. بدأت تتابع نارابى بالرجاء ، وتلج عليه، أن يعمل .. بسرعة .. لتصل الى النهاية ! .. كما كانت ترجوني، وهي تكاد تجثو أمامي .. أن أعالج آلامها .. بطلقة واحدة !

وفي الليلة الأخيرة .. استغرقت في رقاد طويل ، وكنت ركعادتى لألزم فراشها طول الوقت .. وقبل الفجر بقليل .. استيقظت .. وحين رأتني أجلس الى جوارها ابتسمت وهي تعتذر عما تسببه لي من اجهاد وتعب ..



ثم رجتنى أن أحضر لها حقيبتها الصغيرة ، ففعلت •• ثم
فتحتها وتناولت خاتما ذهبيا محلى بقطعة كبيرة من الماس المصقول
•• ورجتنى أن أقرب منها وهى تقول :

— أهدانى والدى هذا الخاتم •• لأقدمه الى الرجل الذى يقع
عليه اختيارى •• وطوال السنوات الأربع التى احتفظت فيها بهذا
الخاتم •• لم أجد سواك يا ليو •• أهلا له ••

ثم وضعت الخاتم فى اصبع يدي اليسرى وهى تقول :
— هل تعدنى يا ليو •• ألا تخلع هذا الخاتم بأى حال ؟ ••

لم أنطق بكلمة واحدة •• فقد كانت دموعى خير شاهد على
شعورى وحبى •• وانحنيت أقبليها •• وأربت على يديهما ••
وبقيت ساكنا الى جوارها •• حتى أقبل نارابى وونج تى •• فأعلنت
لهما — على مسمع منها — أننا قد ارتبطنا أمام الله •• برباط الزواج
المقدس •

وقبل فجر اليوم التالى بقليل •• كانت سوزى قد أسلمت
الروح !! ••

الفصل الثالث والعشرون

أدهشنا أن نرى لى كوى يصل الى معسكرنا الجديد وبرفقته ثلاثة آخرون - علمنا فيما بعد أنهم من منظمة « الدراجون الأسود » . . . وهى منظمة تمارس نشاطها فى المناطق الجنوبية ، وتقاسم قوات الاحتلال بنشاط وعنف ، وكان لى كوى . . . قد انضم اليها بعد أن هجرنا . . .

ولما قدم لى كوى نفسه لنا . . . بدأ بالاعتذار عن فعلته الشنعاء، موضحا الحالة النفسية التى كان عليها وهو يرى هؤلاء الأسرى . . . فلم يتمالك نفسه . . . وفعل ما فعل . ثم قال انه قدم اليوم ليسلم نفسه الينا ، وليتحمل ما يوقعه عليه قاداته من جزاء . ولما سألناه عن مرافقيه هؤلاء . . . أجاب بأنهم حين علموا وجهته ، رأوا أن يرافقه ليقابلوا رؤساء منظمنا . . . فى محاولة لتوحيد الجهود .

واجتمعنا وحدنا فى شكل مجلس حربى . . . وناقشنا الموقف قبل أن نسمح للى كوى أو مرافقيه بالاشتراك فى الاجتماع ، وكان قرارنا بالاجماع أن ما فعله لى كوى . . . وان كان عملا شائنا . . . فانه لم يعد علينا بضرر أو خسارة ، وأن تاريخه معنا يشرفه ، وحسبه أنه يعانى عذابا نفسيا قد يفوق ما نوقعه عليه من جزاء . ولذلك قررنا أن نترك له الخيار فى العودة الينا . . . أو البقاء مع المنظمة الأخرى .

و حين علم بقرارنا انحدرت الدموع من عينيه وهو يعلن توبته . . . وعزمه على مشاركتنا شرف الجهاد . . . حتى النهاية . . .

ثم دعونا مندوبى المنظمة الثانية لنستمع اليهم . . . وبدأ أحدهم الحديث بأن اطرى جهاد منظمنا السرية لمقاومة اليابانيين ، وأشاد بحسن نظامها وشجاعة رجالها . . . ثم قال انه قسم هو وزملاؤه

كممثلين لمنظمة الدراجون الأسود ليعرضوا علينا اتحاد المنظمين
في منظمة واحدة .. كخطوة رئيسية لانضمام باقى المنظمات اليها .
وكان يركز حديثه بصفة خاصة ، على أن الجهود المتعاونة
المنسقة تؤتى أطيب الثمار .. وأكثر من هذا كله .. أن وحدتنا
- وبمعنى أصح - وحدة شعبنا وجهوده ستكون السند القوي لامتنا
بعد عودة .. القوات البريطانية .

وهنا وقف ونج تى يقول :

- ماذا سيحدث لجمهورية الملايو عند عودة القوات البريطانية؟
- يتوقف هذا تماما على ما سيفعله الانكليز معنا .. وكيف
ستكون معاملتهم لنا .. وكيف سيعرضون شهداءنا .. ويكافئونا
أبطالنا الذين جاهدوا من أجلهم .
فصحت أقول ، مقاطعا حديثه هذا :

- كيف تجرؤ على اعلان مثل هذا الرأى ؟ كيف يقيس المرء
جهاده وكفاحه من أجل وطنه وشعبه .. بالاسترليني .. أو
بالدولار ؟! كيف تتصور أن شعب الملايو جاهد كل هذه السنوات
.. ليقدم - فى النهاية .. وبعد أن يتحقق له النصر - بلاده ..
وأهله .. هدية لبريطانية .. أو لغيرها .. لتنعيم بها !!

فقال المتحدث :

- لم أقل اننا سنقدم بلادنا هدية الى بريطانيا .. اننا نرى أنه
يتحتم عليها حين تعود .. أن تشاركنا فى حكم بلادنا .. وهى
خطوة ان تمت .. فستحقق لنا الكثير .. دون شك !!

ودار نقاش طویل بيننا .. وبين مندوبى هذه المنظمة ..
وكان واضحا أننا لن نلتقى .. فكلانا على طرفى نقيض . صحيح
أنهم كافحوا وبذلوا الكثير .. ولكنهم فعلوا بإيعاز من غيرهم !!
بعد أن أمدهم بكل ما احتاجوا اليه . وكان واضحا أيضا .. أنهم

قد أتوا الآن .. ليحملونا على أن نشترك معهم فى الخاتمة .. التى
أرادوها - وأرادها سادتهم - للكفاح الطويل الذى بذله شعب
الملايو الباسل .

ولم يسمع ونج تى الا أن ينهى هذا النقاش بقوله :

- ان أهدافنا واضحة أيها السادة .. لا لبس فيها ولا التواء
.. ولا غموض . لقد أقسمنا فى بداية جهادنا أن تكون مقاومتنا
للقوات اليابانية ، حرباً مقدسة ، لا تخمد شعلتها ولا تنطفئ
بجذوتها .. حتى تستقل الملايو .. وتقوم الجمهورية .

ومن أجل هذا وحده كان كفاحنا حتى اليوم ، كفاحاً لم يتلق
العون من أحد ، ولم يخضع لتوجيه من أى سلطة أخرى .. سوى
سلطة ضميرنا .. وشعورنا بحق بلادنا علينا !! ..

لن نسمح لأى قوة أجنبية بالحياة فوق أرضنا ، ولن نقبل أن
نطرد غاصبا .. لنستقبل غاصبا آخر .. ولست هنا فى مجال
مناقشة ما فعله الانجليز لبلادنا ، وما لم يفعلوه .. ولكننى أقر
حق شعبنا فى الحياة الحرة الكريمة فى وطن ينعم بالاستقلال
والسيادة والحرية الكاملة !! ..

لقد قاتلنا طويلاً .. وسنقاتل ثانية لو تطلب الأمر ونحن
نسيطر الآن على كل ما فى الملايو من جبال وغابات . وفى قتالنا ضد
اليابانيين .. اكتسبنا خبرة كنا نفتقر اليها فى بادئ الأمر
وسنستفيد من خبرتنا هذه اذا تطلب الأمر أن نقاتل مرة ثانية ..
وويل للمعتدين !! ..

ان شعب الملايو لا يعرف الخيانة .. ولا يبقى على حياة الخونة
.. ونصيحتى لمن غرر بهم .. أن يشوبوا الى رشدهم .. وأن
يعرفوا طريقهم .. قبل أن تضيع الفرصة .. ولات ساعة مندم الى

خاتمة

في الخامس والعشرين من شهر مايو .. سمعنا أول أنباء النصر
المرتقب .. حين أعلن المذيع ان اكثر من خمسمائة طائرة قد قامت
بضرب طوكيو وكبرى المدن اليابانية !!
وتوالت الأنباء .. تصلنا مؤكدة ومؤيدة أن النهاية قد قربت
.. وأن الحرب وشيكة الانتهاء ...

وفي اليوم الأخير من سبتمبر .. كتبت في مذكرتي ما يلي :
- كل احساسى وشعورى .. يتركز الآن فى لقاء « لى لان »
.. وما زال لدى الكثير .. أعيش من أجل تحقيقه .. ولكن أين
هى لى لان ؟ .. وأين هو ولدى ؟ .. وما قيمة الحرية .. وما معنى
الحياة .. اذا لم أستطع العثور على زوجتى .. وطفلى ..

الذات القومية للطبائخ والنشئة

الدلالة القومية للطباعة والنشر

مركز النشر عام السقاني

في العالم العربي
من القاهرة

يصدر عنها

روايات عالمية الكتاب الماسي

مذاهب ومفاهيم من الشرق والغرب كتب

كتب قومية في المرحم العا

اخترا اللطال

دراسات أثرية رسائل ماسي

مكتبات الدار

نيويورك

لندن

الجزائر

بيروت

طرابلس

بغداد

الخطوط

الاسكندرية

القاهرة

مجلة الإذاعة والتلفزيون

مجلة بنار الوطن

ARAB
OBSERVER

ARABE
OBSERVATEUR

The Scribe
ARAB REVIEW

Le Scribe
REVUE ARABE

El Escriba
REVISTA ARABE

Der Schreiber
ARABISCHE RUNDSCHAU

Bibliotheca Alexandrina



0540427